تعليم القرآن في المؤسسات القرآنية وأثره العلمي والتربوي
الكتاتيب القرآنية في المغرب أنموذجًا

أ.د. عيسى بن ناصر بن علي الدريبي

الأستاذ بقسم الدراسات القرآنية كلية المعلمين– جامعة الملك سعود– الرياض

- من مواليد عام ١٣٨٩ هـ –١٩٦٩م بمدينة الرياض .
- تخرج في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمدينة الرياض عام ١٤١١هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم القرآن وعلومه –كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤١٨هـ بأطروحته: " **منهج السمين الحلبي في التفسير في كتابه الدر المصون**" (مطبوعة)، كما نال شهادة الدكتوراه منه عام ١٤٢٣هـ بأطروحته: "**فتح المنان بتفسير القرآن من أول الكتاب الى نهاية تفسير سورة المائدة: دراسة وتحقيقا**".
- من أعماله المحكمة المنشورة: "**العلامة الحسن عاكش الضمدي ومنهجه في التفسير** "، "**معالم الحوار الناجح في حوارات الأنبياء عليهم السلام** "، "**كتاب الأنجم الزواهر في تحريم قراءة القران بلحون أهل الفسق والكبائر للمحدث ابن الكيال الدمشقي: تحقيق ودراسة**"
- البريد الشبكي: essaduraibi@hotmail.com

الملخص

هذا البحث يهدف لرصد تجربة متميزة في تعليم القرآن الكريم في المغرب العربي، وهي تجربة متجذرة، وذات امتداد تاريخي متأصل في المغرب منذ دخول الفتح الإسلامي.

وتكشف هذه الدراسة عن المعالم المنهجية لتحفيظ القرآن الكريم، والأسس العلمية لها في هذه المناطق، وذلك عبر دراسة ذلك في فصول أربعة هي :

الفصل الأول : وفيه تعريف بمراحل وآليات التحفيظ فيها، وهو فصل تعريفي.

والفصل الثاني : ويركز على خصائص المنهاج المغاربي في الحفظ، وهو فصل تحليلي للمقومات العلمية والأسس المنهجية لتميز هذه التجربة.

وفصل ثالث: يدرس المعالم التربوية في تحفيظ القرآن في الكتاتيب؛ لإبراز الملامح التربوية في الكتاتيب، وللكشف عن سبق هذه الكتاتيب لكثير من النظريات التربوية الغربية اليوم.

وفصل رابع : يتضمن وصف الزيارات الميدانية لكتاتيب من شمال المغرب وجنوبه وغربه تتجلى فيها التطبيقات العملية لما يجري عليه العمل في التكتيب بمراحله المختلفة والتلقين والتحفيظ ومراجعة (الأسوار) وقراءة (الحزب الراتب) مع الوقوف على فضاءات الكتاتيب وقاعات الدرس ومساكن التلاميذ (إقامات الداخلية) وكذا التعرف على جملة من المشايخ والفقهاء في الكتاتيب وهيآتهم وأحوالهم، والجلوس إليهم أثناء فترات العمل وأخذ الصور لمختلف العمليات والآليات للتوثيق البصري مع تسجيلات للتوثيق السمعي وغير ذلك.

مقدمـة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد سعت الأمة منذ نزول القرآن على نبيها محمد ﷺ لحفظ القرآن وتعلمه وتعليمه، وقد حفظ القرآن جملة من أصحاب رسول الله ﷺ؛ وسلك التابعون لهم ومن بعدهم هذه السبيل، وهم في ذلك يستلهمون أسراره ويستهدون أنواره، ويلتمسون أسباب الترقي في مدارج الخيرية انطلاقا من قوله عليه الصلاة والسلام تنويها بأهل القرآن، وتنبيها على فضيلتهم: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(١).

وكان المنطلق في هذا الاتجاه بالنسبة للكبار مما كان يتاح لهم من السماع من النبي ﷺ في مجالسه، ثم بعد ذلك في مسجده الشريف بعد هجرته إلى المدينة النبوية، أو مما كان يسمعه بعضهم من بعض، أو ممن كان يتقرب إلى الله بالتعليم القرآني كمصعب بن عمير وخباب بن الأَرتّ وعبد الله بن أم مكتوم وأبي بن كعب الأنصاري وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وغيرهم.

أما الصغار فقد استحدثت لهم مكاتب في الأحياء بدأت في المدينة على عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم اتسع العمل بذلك في الأمصار المفتوحة.

يقول الشيخ العلامة محمد الطاهر بن عاشور التونسي مؤرخا لهذا الطور من أطوار التعليم الإسلامي في الصدر الأول :

«وأول ما ظهر التعليم في الإسلام كان غير معين المحل، فكانوا يعلم بعضهم بعضا القرآن في منازلهم وفي مجامعهم، ولكن لما كان المسجد هو المجمع للناس في المدينة كان هو الموضع المتعين للتعليم لمن لم يجد موضعا، وما كان النبي ﷺ يجلس لأصحابه إلا في المسجد. وكذا استمر الأمر بعده».

ففي الموطأ عن أبي بكر بن عبد الرحمن أحد فقهاء المدينة من كبار التابعين أنه

(١) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن رقم الحديث: ٤٦٣٩.

كان يقول : «**من غدا إلى المسجد ليتعلم خيراً أو يعلمه رجع إلى بيته كالمجاهد في سبيل الله رجع غانما** »[(١)].

ثم جعلت في المدينة بيوت لتعليم القرآن... وسمى المسلمون بيت تعليم القرآن (المكتب) أو (الكُتَّاب) بضم الكاف وتشديد المثناة الفوقية.

فاستمر الناس يعلمون الصبيان القرآن بطرق مختلفة بحسب الإمكان، وأول من جمع الصبيان في المكتب عمر بن الخطاب، وأقام عامر بن عبد الله الخزاعي وأمره أن يلازمهم للتعليم، وجعل له رزقا من بيت المال، وأمره أن يجلس للتعليم بعد صلاة الصبح إلى الضحى العالي، ومن صلاة الظهر إلى صلاة العصر، ويستريحون بقية النهار.

ولما رجع عمر من تفقده بلاد الشام، رتب للصبيان المتعلمين الاستراحة يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع.

وفي البخاري أن أم سلمة رضي الله عنها أرسلت إلى معلم الكتاب أن أرسل إلي من غلمانك ينفشون لي صوفا »[(٢)] .

أما قصة خروج عمر إلى الشام المذكورة في هذا الخبر فقد ساقها الواقدي في كتاب المغازي، وذكر فيها أن عمر خرج إلى الشام عام فتحها، وأطال الغيبة فيها واستوحش الناس لفقده، فلما رجع خرج الناس شوقا إليه للقائه على بعد من المسافة، وكان خروجهم يوم الخميس غدوة، وأول من اتصل به الأولاد لخفتهم ونشاطهم وفرحهم به. وبات الناس معه ليلة الجمعة في بقية سفره (أي قبل وصوله

---

(١) الحديث فى صحيح الترغيب للألباني برقم ٨٦، وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته». رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به. قال الألباني : حسن صحيح.

(٢) كتاب أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي – دراسة تاريخية وآراء إصلاحية للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ص: ٥٣-٥٤

إلى المدينة) فأصبح به على المدينة ودخل قبل الصلاة، فقال للأولاد: أنتم خرجتم وتعبتم يوما في الخروج ويوما في الرجوع، وقد جعلت لكم يوم الخميس يوم راحة، وكذلك من جاء بعدكم إلى يوم القيامة »[١].

وهكذا تواصلت العناية بتعليم القرآن أيام الراشدين ومن بعدهم في الحجاز والشام والعراق ومصر وغيرها.

وقد كان من مظاهر هذا الاعتناء إقامة المدارس والمعاهد والكتاتيب القرآنية ، ولقد اقترنت نشأة الكتاتيب في المغرب بدخول الإسلام، كما حظي تعليم القرآن لدى المغاربة بعناية فائقة، فأسسوا الكتاتيب القرآنية. وزيادة على المساجد ورسالتها أسس المغاربة في كل ركن من بلادهم كتاتيب قرآنية لتحفيظ القرآن لأبنائهم وبناتهم منذ طفولتهم المبكرة، وهذه الكتاتيب قد تكون مستقلة، وقد تكون تابعة لمسجد كما هو الشأن في البوادي، وحتى المغاربة الرحل كانوا يتخذون خيمة خاصة من خيامهم لتعليم القرآن وأداء الشعائر، تنتقل معهم أينما حلّوا.

وقد كانت لي زيارات علمية للمغرب، اطلعت فيها عن كثب على بعض الكتاتيب فرأيت تجربة عجيبة في تعليم القرآن تجمع حفظ القرآن مع حفظ علومه المهمة والمساعدة على إتقانه كضبط المتشابه وعلم الرسم والضبط، ولهم في ذلك أنظمة فريدة سوف آتي على ذكرها.

وزرت بعض العلماء خريجي هذه الكتاتيب[٢]، فسمعت منهم ما شوّقني لدراسة هذه التجربة الثرية والممتدة في أعماق الزمن، وأحببت التعرف عليها عن كثب، كما زرت بعض الكتاتيب في بوادي طنجة[٣] وهي في الشمال المغربي وأخرى

(١) المصدر نفسه: الهامش رقم ١ ص ٥٤.

(٢) ومنهم الشيخ العلامة مصطفى البحياوي من أهل طنجة ،والشيخ عمر القزابري إمام مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء.

(٣) كالشيخ أحمد التوزاني شيخ كتّاب قرية الرمان، جماعة ملوسة التابع لإقيم الفحص أنجرة بولاية طنجة، ومعهد الامام مالك للتعليم العتيق في طنجة.

في بوادي آسفي وبوادي الصويرة في الجنوب المغربي كما سيأتي تفصيلها في الفصل الرابع، وتعرفت على بعض مشايخها العاملين فيها، وذاكرتهم في أساليب التعليم المتبعة فيها والوسائل المستعملة للتلقين والتحفيظ، فنشأت لدي فكرة هذا البحث الذي جعلت عنوانه: (**تعليم القرآن في المؤسسات القرآنية، وأثره العلمي والتربوي «الكتاتيب القرآنية في المغرب أنموذجا »**).

وكانت خطة البحث كالتالي:

الفصل الأول: مراحل التعلّم في الكتّاب وآلياته :

المبحث الأول: مراحل التعلم وبرنامجه في الكتاتيب.

المبحث الثاني: الوسائل التعليمية وآليات المراجعة .

الفصل الثاني: المعالم المنهجية في التحفيظ ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الأسس العلمية التي يقوم عليها تعليم القرآن في الكتاتيب:

١- التلقين.

٢- التكتيب.

٣- التصحيح.

٤- التدرج.

المبحث الثاني: ميزات المنهاج المغربي في التعليم في الكتاتيب:

١- ضبط الحفظ.

٢- ضبط الرسم.

٣- ضبط المتشابه.

٤- ضبط الوقف.

الفصل الثالث: المعالم التربوية في تحفيظ القرآن الكريم في الكتاتيب:

المبحث الأول: النظرية الإسلامية التربوية في التعليم المنهج.

المبحث الثاني: الأثر التربوي.

المبحث الثالث: التربية الإيمانية والأبعاد الاجتماعية والنفسية في الإقامة الدائمة.

الفصل الرابع: الزيارات الميدانية للوقوف على التجارب العلمية:

وكان هدفي من دراسة هذه التجارب الثرية التعريف بها، والإفادة منها في مؤسسات ومعاهد ودور تعليم القرآن في المشرق.

وأحمد الله أن يسر لي التعرف على هذه التجارب العلمية الرفيعة الشأن ورصدها، وبيان أسسها العلمية.

وأشكر كل من ذاكرته في الموضوع من أهل المغرب الأوفياء من العلماء والمدررين والفقهاء أصحاب المدارس والكتاتيب – الذين زرتهم في كتاتيبهم العامرة – أو ممن تواصلت معهم من المهتمين من أهل القرآن أو المعنيين بالكتاتيب ممن يضيق المقام عن حصرهم سائلا المولى أن يجزيهم خير الجزاء.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه وأن ينفع به.

وكتبه الفقير الى عفو ربه

أ.د. عيسى بن ناصر الدريبي

أستاذ الدراسات القرآنية المشارك بجامعة الملك سعود

وعضو الهيئة الإشرافية والعلمية لكرسي تعليم القرآن وإقرائه بجامعة الملك سعود

الرياض ٢٣ صفر ١٤٣٣هـ

تمهيد

لا يزال تحفيظ القرآن الكريم وتعليمه هو الهدف الرئيس من الكتاتيب في المغرب، وهو الهدف الأسمى من إنشائها، استنادا لمذهب المغاربة الذين يقتصر منهجهم في بداية تعليم أطفالهم على حفظ القرآن ولا يرون خلطه وهم في هذه السن بشيء من الحديث أو الفقه أو غيره من العلوم كما هو منهج المشارقة والأندلسيين، بينما نجد أهل المشرق يجمعون مع حفظ القرآن مبادئ العربية والإملاء والخط، وأهل الأندلس يبدؤون بتعليم الأطفال القراءة والكتابة والشعر والأدب، فإذا أتقنوا ذلك بدأوا بحفظ القرآن.

وفي ذلك يقول ابن خلدون: « فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب الى أن يحذق فيه، أو ينقطع دونه ،فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة، وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة، وكذا في الكبير إذا راجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره، فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم »[1].

هذه الكتاتيب كان لها مزية عظمى، وهي المحافظة على القرآن الكريم، الذي يضمن بقاء أصل الدين وخلود اللغة العربية.

وكانت هذه الكتاتيب تعلم القرآن بمفهومه الصحيح للتعليم وليس مجرد الحفظ، فيتقن الطالب فيها علوم الرسم والضبط والوقف، وكلما كان (المدرر) أغزر علما كان أثره على تلميذه أوسع في علوم ما يتعلق بكتاب الله.

---

(١) مقدمة ابن خلدون الفصل ٣١ الباب السادس ص ٥٣٧ طبعة دار الفكر.

«لقد كانت المساجد[1] – أي الكتاتيب – في أيام العزة الإسلامية وفي عهد الحكومات العربية الناهضة عبارة عن مدارس ابتدائية، يحفظ فيها القرآن، ويدرس فيها الخط والرسم ومبادئ الدين وقواعد اللغة وأصول الأدب ونصوصه، وذلك حينما كان القائمون بشؤونها أساتذة يحفظون القرآن ويفهمونه، ولهم مشاركة في مختلف العلوم، وعلى الأقل الضرورية منها ... »[2].

ولقد بلغت هذه الكتاتيب من الوفرة والكثرة عددا لا يحيط به الإحصاء في مجموع الأقطار المغاربية، ويكفينا لإعطاء صورة عن ذلك أن نشير إلى بعض ما كان منها في حاضرة الأندلس قرطبة في أواخر دولة بني أمية بها.

فقد عرفت الأندلس على عهد دولة بني أمية بها، وخاصة في أيام عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ) وابنه الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ) قيام نهضة تعليمية باهرة رفيعة المستوى تمثلت في قيام الدولة بما يسمى في عصرنا بالتعليم (الأساسي) على مستوى الحواضر والقرى، حتى قيل: «كانت قرطبة وحدها تشتمل على ثمانين مدرسة لتعليم القرآن ومبادئ العربية »[3].

وحتى إنه «كان حول المسجد الجامع بقرطبة وحده – كما يقول المؤرخ ابن عذاري المراكشي في كتابه (البيان المغرب)- سبعة وعشرون كتّابا في عهد الحكم بن عبد الرحمن الناصر. وفي ذلك يقول الشاعر ابن شخيص الأندلسي مادحا له من قصيدة :

---

(١) يغلب استعمال هذا المصطلح ومفرده (المسيد) بحذف الجيم من كلمة (المسجد) في مقابل اسم الكُتَّاب في مدينة فاس المغربية وشمال المغرب وخاصة الحواضر، وفي مراكش وجنوب المغرب يسمى قديما (الحِضار) بكسر الحاء والضاد، وقد يقال له (الحِظار) وفي شنقيط والصحراء المغربية يطلق عليه اسم (المَحضَرة) وإطلاق (الكتاب) عليه نادر ومختص ببعض الحواضر في الجملة، ويسمى أيضا في شمال المغرب باسم (المعمرة) بفتح الميمين.

(٢) على رأس الأربعين – محمد داود التطواني ص ٣٢.

(٣) المفرد العلم للأستاذ أحمد الهاشمي: ص ١٨٢.

وساحة المسجد الأعلى مكلـلة مـكاتبا لليتـامى في نواحيـها
لو مكنت سور القرآن من كلِم نادتك يا خير تاليها وراعيها »[1]

ولقد كانت لأهل المغرب فضيلة السبق إلى إجبارية التعليم الأولي في الكُتاب والفتوى بوجوبه على الآباء فهذا أبو عمران الفاسي فقيه القيروان (ت٤٣٠هـ) يذكر في كتاب الأحكام أنه «سئل عن المعلم إذا شارطه وجوه الناس أو القاضي ليعلم أولادهم الكتاب بشيء معلوم في بلد ليس فيه سلطان، وفي بلد السائبة، فلم يتطوع من كان في ثغر من الثغور ممن يرى أنه مرابط من ذات نفسه لتعليم ولده حتى أخذه الناس كرها، وهل يجبر على ذلك؟ وهل يسوغ للمعلم أخذ أجر من أهل البلد ممن امتنع من إدخال ولده (الحِضار)؟ وهل تجوز شهادة من امتنع من تعليم ولده من أهل البلد وأهل الرباط؟.

فأجاب أبو عمران الفاسي رحمه الله: «إن ما ذكرت من (الحِضار) إذا اتفق عليه أهل الموضع وشارطوا معلما وتعاقدوا معه ، يلزم من كان في الموضع إدخال ولده (الحِضار) فمن امتنع من ذلك فليكلم وليهدد بالضرب إن كان في موضع فيه سلطان فإن أبى أن يدخله بعد ذلك فليجبر، ويؤخذ منه ما ينويه من جملة الشرط جبرا، فإن كان عندهم القدرة عليه فليطرد من ذلك الموضع، لأنه هدم ركنا من أركان الدين.

فمن امتنع من إدخال ولده «المكتب» والتعليم فقد عصى الله ورسوله، لأن فرائض الله تعالى لازمة للمسلمين كلهم.

وأما ما ذكرت من أمر المرابط الذي سكن الرباط ويمتنع من إدخال ولده (المكتب) فليس بمرابط، إنما استفزه الشيطان وأغواه، وينبغي لأهل الموضع أن يكلموه فإن أبى وتمادى على ذلك طرد من الرباط، ويؤدب أدبا موجعا، وتسقط

(١) المغرب في أخبار المغرب: ٢/ ٢٤٠- ٢٤١.

بذلك شهادته» [1].

وهكذا أصبحت قضية التعليم في الكتاب محسومة في جميع الأقطار المغربية بوجه عام.

وما يزال لهذا بقية باقية في كثير من جهات المغرب في الحواضر قليلا وفي البوادي إلى اليوم كثيرا، وخاصة في الجنوب المغربي وبلاد سوس، حيث قل أن تجد مجموعة سكنية أو قبيلة دون أن تجد كُتّابا لتعليم القرآن وتحفيظه، إما مستقلا بهذه الوظيفة، وإما مندرجا ضمن مدرسة علمية تعنى بتدريس مبادئ العقيدة وعلم العربية والحديث والسيرة والفقه. وقد عملت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المغرب على احتضان التعليم في الكتاب وأنشأت له مديرية وزارية تعنى بشؤونه الخاصة، وتعد له البرامج والمناهج التربوية وتمده بالمعونة المادية والمعنوية، عن طريق إحداث مؤسسات تفتيش تربوي يسهر على مراقبة أعمال(المدرّرين) العاملين فيه، ويقدم تقارير عنها، ومكافآت مالية شهرية للقائمين على الكتاتيب الملحقة بالمساجد، كما أنشأت جائزة سنوية تعطى كل سنة لأحسن ثلاثة كتاتيب عبرت عن تفوقها في أحد الفروع الثلاثة: فرع التلقين، وفرع التسيير، وفرع المردودية فيعطى كل فرع منها جائزة معتبرة ويقدمها ملك البلاد بنفسه للفائزين كل سنة في أواخر شهر رمضان المعظم في محفل عام.

(١) كتاب الأحكام لأبي عمران الفاسي: لوحة ٤٥ مخطوطة خزانة ابن يوسف بمراكش رقم ٥٤٧، نقله الدكتور حميتو عبد الهادي في بحثه عن أبي عمران الفاسي. انظر كتاب (أبو عمران الفاسي حافظ المذهب المالكي) ص ٥٥. ونحوه له من كتاب التعاليق على المدونة في الفقه لسحنون نقله الشوشاوي في كتاب الفوائد الجميلة ص ٢٩١.

الفصل الأول
مراحل التعلّم في الكتّاب وآلياته
المبحث الأول : مراحل التعلّم وبرنامجه في الكتاتيب

متى يدخل الطالب الكتّاب؟

يدخل الصبي الكتّاب عندما يعقل ،وغالبا ما يكون ذلك في السنة الخامسة أو السادسة، ويبدأ الطفل بحفظ الحروف الهجائية ثم يحفظ بعض السور القصار.

يصف صاحب كتاب (مدارس سوس العتيقة) [١] برنامج الكتّاب في المغرب بأنه يخضع في عرفه التقليدي لشكليات تنظيمية تكاد تتفق في جوهرها، وتختلف اختلافا بسيطا بحسب الجهات والمدن والبوادي، وبحسب بعض الاجتهادات الشخصية التي تلحق هذه الشكليات أحيانا.

الجدول الأسبوعي واليومي :

فمن حيث استعمال الزمن: فالأسبوع الدراسي فيها يبتدئ عشية يوم الجمعة، ويستمر إلى مساء يوم الأربعاء، وهو أسبوع مكثف بالحضور والعمل والدراسة، يستغرق كل وقت التلميذ في النهار، مع شطر كبير من أول الليل وآخره.[٢]

ويختص الصباح الباكر بمراجعة الألواح المحفوظة ، ومحوها ، وإعدادها، والجلوس لكتابتها بالنسبة للحافظين، أو كتابة شطر منها أمام الفقيه بالنسبة للمُسْتَمْلِين، أو تعلم الكتابة فيها بالنسبة للمبتدئين[٣].

البرنامج اليومي للطلاب في الكتّاب:

في بداية أمر التلميذ (المِحْضَار) يعلمه النطق بالحروف، ثم يعلمه الحروف المعجمة والمهملة منفردة، ثم مجملة، ثم طريقة الكتابة (بالتحناش)، وبرفقة هذا

(١) مدارس سوس العتيقة لمحمد المختار السوسي ص ١٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الدراسات القرآنية بالمغرب ،الوافي ص ٢٠.

يحفظه الشيخ قصار السور كـ {سبح اسم ربك الأعلى} إلى آخر القرآن، كما يحفظه التشهد مع قنوت الصبح، ويعلمه قواعد الإسلام الخمس وأصول الإيمان الستة، ويحث تلامذته على حضور الصلاة معه، قصده من هذا أن (المحضار) إذا انقطع عن متابعة قراءته يكون قد حصل من الكتّاب معرفة ولو أنها بسيطة، يعرف كيف يتوضأ ويغتسل ويتيمم ويصلي، فإذا استمر في الحفظ والتلقي، فإن الشيخ بحكم الممارسة والاطلاع والقرب من تلامذته يعرف قوة كل تلميذ في الحفظ والتحصيل والاستيعاب؛ لأن هناك من حافظته قوية، وهناك المتوسط، وهناك الضعيف، فهو خبير بالكل فلا يكلف (المحضار) فوق طاقته. فمنهم من يحفظ بعض السطور، ومنهم من يحفظ الثمن، ومنهم من يحفظ الربع، ومع هذا فإن المشايخ ينهجون مع تلامذتهم منهجا علميا كالآتي:

١- يكتب التلميذ بعض السطور، أي: في اللوح، فإذا ظهرت نجابته وقوة حافظته، انتقل معه إلى ثمن الحزب فإذا ظهرت نجابته وقوة حافظته انتقل معه إلى ربع الحزب، ويحرص الشيخ على أن يكتب التلميذ لوحه بيده؛ لأنها أسهل له وأيسر للحفظ والاستظهار.

٢- وبعد فراغ التلميذ من كتابة لوحه يصححها الشيخ بمحضر التلميذ؛ لتنبيهه على ما عسى أن يكون في اللوحة من تصحيف أو خطأ.

٣- وبعد الفراغ من التصحيح يلزم أن يسمع التلميذ من شيخه عند التصحيح ويتابع معه.

٤- ثم يأخذ التلميذ اللوحة ويقرؤها والشيخ يسمع؛ ليصحح له وينبهه على كيفية القراءة ومخرج الحرف، ومن المشايخ من يقرأ مع التلميذ بعد سلك اللوحة وتصحيحها وتسمى عندهم (بالنَّفدة).

٥- ثم يذهب المحضار لحفظ ما كتبه في هذا اليوم وتسمى هذه الحصة (بالجديدة)، وما كتبه بالأمس تسمى(البالية)، فما كتبه اليوم في الصباح بعد

تصحيحه ينتقل إلى حفظه واستظهاره ثم عرضه على شيخه وتسمى (العرضة الجديدة).

٦- فإذا حفظها واستظهرها وعرضها على شيخه أو على مساعد شيخه إن كان له حزب سبق له أن كتبه وعرضه وحفظه راجعه وعرضه على شيخه كذلك. وعند قرب نصف النهار يمنح الشيخ التلاميذ فترة استراحة بعد مراجعة (المَحْيَة) وعرضها، يذهب التلاميذ إلى منازلهم، وعند أذان الظهر يحضرون جميعاً وهم متوضئون لحضور صلاة الظهر، وإذا كان النهار طويلاً يكلفهم بالعودة بعد القيلولة.

٧- ثم يشرعون في حفظ ما كتبوه بالأمس بالكيفية التي سبق ذكرها وتسمى (البالية)؛ لأن الجديدة هي التي كتبت في صباح اليوم، والبالية هي التي كتبت في صباح الأمس، و(المَحْيَة) هي التي محيت في صباح اليوم وكتب مكانها الجديدة أي: حصة اليوم الجديدة.

٨- وبعد صلاة العصر يعرض المحضر البالية، وبالتأمل نجد المشايخ يحرصون على تتبع التلاميذ، بحيث يعرض التلميذ الجديدة قبل الذهاب إلى المنزل في النصف الأول من اليوم، وفي المساء بعد العصر يعرض البالية ثم إذا حفظ فحسن، وإن لم يحفظ يكلف بالحفظ ولا يغادر (المسيد) إلا بعد الحفظ والاستظهار.

٩- وبعد العرض في المساء يضع لوحته ،ويشرع في مراجعة (الأسوار) وتكرارها.

والأسوار: اصطلاح يطلق على ما وفره التلميذ من الأجزاء المحفوظة، بحيث يراجعها بعد عرض البالية وبين العشاءين، وفي فصل الشتاء قبل صلاة الفجر بساعتين أو ساعة على الأقل، يلزم (المحضار) أن يحضر قبل الفجر- إذا كان الفصل فصل شتاء - لمراجعة (الأسوار) ومراجعة البالية مرة ثانية قبل عرضها مرة أخرى على الشيخ أو من يساعده، ولا يسمح له بمحوها إلا إذا كانت محفوظة حفظاً جيداً، كما يعبر عنه طلبة القرآن وحفظته حيث يقولون: «كالماء».

ومن الطرق التي يعتمدها المشايخ في تدريسهم :

توزيع التلاميذ عبر جماعات صغيرة للبدء في الحزب الجديد (والأسوار) مع

المحافظة على قراءة الحزب الراتب، كما كان الشيخ في تحفيظ الصغار يستعين بالطلبة الذين حفظوا القرآن لفظاً ويعملون على إتقان رسمه؛ لأن العرف جرى على أنه لابد من إتقان اللفظ والرسم، ومساعدة هذه الشريحة للشيخ تكون في الحفظ والاستظهار، وإذا نضج (المحضار) وقارب حفظ القرآن عن ظهر قلب يكلف إضافة إلى العرضات الثلاث أو الأربع السابقة عرضة أخرى، وهي عرض ما سيكتبه التلميذ على شيخه من إملاء قبل محو لوحته، يعرض نصف الحزب ليكتبه بنفسه عن ظهر قلبه، وأما قبل هذا فكان يكتب لوحه بتلقين من شيخه أو من يساعد الشيخ، وهو ما يصطلح عليه (بالفتيا).

ثم تأتي المرحلة الثانية وهي الكتابة عن ظهر قلبه وهي المعبر عنه بالكتابة (من رأسه)، أي : مما يحفظه جيداً، وفي هذه المرحلة-التي صار فيها التلميذ يكتب لوحته من حفظه، وأصبح حافظاً -يبقى له الاهتمام بالرسم أكثر من اللفظ، ينتقل الشيخ لتحفيظه (الحذفية) و(الكناوية) و(الأنصاص) وما اصطلح في بعض المناطق على تسميته (بالخواتات) أي النظائر المتشابهة في الرسم والضبط وأحكام التفخيم والترقيق، والأحكام الأخرى التي تتعلق برسم الكلمة (كرحمة) متى تبسط تاؤها و(نعمة) و(سنة). ولم يتركوا وسيلة من وسائل حفظ القرآن الكريم واستظهاره وضبط ألفاظه ومتشابهاته إلا وسلكوها، فنظموا أنصاصاً ورمزوا لذلك برموز، والأنصاص نوعان: منها ما يضبط به الرسم، ومنها ما يضبط به اللفظ.[1]-وسيأتي الحديث عن ذلك مفصلا-.

البرنامج التفصيلي للكتّاب :

الكُتَّاب يخضع لبرنامج زمني وجدول يومي، وترتيب منطقي يراعي أوضاع المتعلمين وفروقهم الفردية، ويراعي التدرج في مقدار المنهج، كما يراعى فيه أوقات

(١) وسائل تحفيظ القرآن في الكتّاب ،المراحل والآليات، محمد منكيط ص ١٩٥-١٩٦.

الاستراحة، وأوقات العطل بنظام تربوي تعليمي منتظم.

يقول الأستاذ محمد بن يعقوب[١]: وانطلاقاً من تجربتنا المعيشة في هذا المجال، فإن البرنامج اليومي كان يتوزع بين الفترة الصباحية، والفترة المسائية. وكان هناك توقيتٌ نمطيٌّ يخضع له الكُتَّاب في الفترتين: ففي الصباح هناك الحضور مُبَكِّراً إلى منتصف النهار؛ حيث ينطلق التلميذ لغذائه، ليعود بعد نحو ساعتين لقضاء الفترة المسائية إلى غروب الشمس أو نحو ذلك؛ حيث يذهب إلى حال سبيله. ليتكرر المشهد مع نوع من التخفيف عشية الأربعاء، إلى عطلة نهاية الأسبوع التي كان يمثلها يومُ الخميس ابتداء من الزوال إلى ما بعد زوال يوم الجمعة عند بداية الفترة المسائية. وكان يوم الأحد عندنا يوماً نأتي فيه معلمنا بما تيسر من نقود كجزء من أجره المتعارف عليه، فإذا كانت نهاية الشهر جئناه أيضاً بمبلغ مقدر هو على كل حال أكبر من المبلغ الأسبوعي. ويلعب الوضع الاجتماعي للتلميذ دوره في تقدير هذا المبلغ.

أما العطل السنوية فكانت عطلاً تتراوح بين يوم، وعشرين يوما، ومناسبات هذه العطل كلها دينية مقترنة في تقويمها بالأشهر الهجرية، وهي: عيد الفطر، وعيد الأضحى، ويوم ذكرى المولد النبوي على صاحبه أزكى السلام.

بينما عطل اليوم الواحد ترتبط بالديني واليومي من شواغل الحياة في بُعْدِها الروحي والطبيعي المرتبط بالأرض خمولاً وخصوبة وعطاء عَبْرَ دورتها السنوية.

مراحل التعليم في الكتّاب:

يخضع تقسيم الطلاب في الكتّاب حسب مراحلهم التعليمية سنّاً وتقدماً في التحصيل لثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى:

وتخص التلاميذ المبتدئين الذين يتدرجون في تعلمهم ابتداء من حروف الهجاء.

---

(١) في بحث له بعنوان : كيف أبدع المغاربة في حفظ كتاب الله . منشور على موقع الرابطة المحمدية على الانترنت.

وهنا، فإن المتكفل بهذه الشريحة من المتعلمين عادة ما يكون من كبار التلاميذ؛ حيث يجعلهم - بأمر معلمه إياه- يتحلّقون عليه، ثم يأخذ في تلقينهم هذه الحروف مُجَردةً، ثم مَنْقُوطة في محطة مُتَقدِّمة؛ يكون المتعلم عندها قد توفر على لوح صغير يَتَهجَّى فيه هذه الحروف -مكتوبة له من قبل معلمه- مُتَصلَةً فيما بينها كلماتٍ معبرةً هي البسملة، فآيات الفاتحة، ثم الناس، ثم الفلق... وهكذا عبر سور القرآن طلوعاً[1] ، لتأخذ الدواة والقلم مكانهما لدى المتعلم في تكتيبه بالأخذ بيده في رسم الحروف على اللوح. وقد يتولى الأمر تلميذ أكبر يكون أنهى ما عليه إنهاؤه في وقته، ليتفرغ بأمر المعلم للموضوع، ويصبح على المُتَهَجِّي حِفْظُ ما تهجاه كتابة.

بعد هذا يعمل المعلم لاحقاً على (تحنيش) لوح المتعلم بسطرين أو ثلاثة حسب تقدمه في الفهم أو الاستيعاب؛ فيتتبع المتعلم كتابةً ما خطه المعلم بلوحه (مُحَنَّشًا)، مُتقدماً في حفظه السُّورَ القَصيرةَ المتتالية. وحين يلمس المعلم نَوعاً من الإتقان في تَرَسُّم (تحنيشه)، يضع أسطراً بين هذا التحنيش، ليجعل المتعلم يقلده عندها تقليداً قبل أن يملك زمام نفسه في عملية الكتابة التي يُسطر لها المعلم عدد الأسطر لكتابتها مُمْلاةً منه.

المرحلة الثانية:

وهي مرحلة الاستقلال الذاتي قراءةً وكتابة؛ وهنا يكون المتعلم قد تقدم في محفوظه من القرآن الكريم، ويكون عرضُ مكتوبه اليومي على المعلم من ثمانية أسطر إلى عشرة طالعاً في السُّلكة[2]. وكلما تقدم فيها زادت سرعته عندها؛ حيث يزداد مكتوبه ليصل إلى ثُمن حزب في اليوم، يتلقاه عن معلمه كغيره إمْلاءً وتصحيحاً.

وللإشارة، فإن ما كان يُعتبر معياراً من السُّوَر مُعْتَمَداً كوحدات يتم التنقل عبرها بالكيفية المشار إليها سلفاً، يتغير بعد إنهاء الحزب الثاني اعتباراً حيث

(١) أي : بدءا من سورة الناس إلى سورة الفاتحة .

(٢) الدراسات القرآنية بالمغرب ،الوافي ص ٢٠.

الانتقال المباشر إلى سورة الجن التي يبتدئ بها هذا الحزب/ السابع والخمسون بترتيب الأحزاب في المصحف؛ حيث تصبح العبرة بالحزب بدايةً ونهايةً على ذات النظام الترتيبي المتنقل حزباً حزباً. وبدل ما يكون احتفال أهل المتعلم -كما كان- بوصول ولدهم إلى سورة معينة كسورة الأعلى، أو سورة الجن، أو سورة الملك، يصبح هذا الاحتفال ببلوغه منتصف القرآن عند بداية الحزب الثلاثين/ الواحد والثلاثين بالترتيب المصحفي ؛ حيث يعظم الاحتفال، وَتُعْطَاهُ قيمة كبرى حسب أسرة التلميذ. وقد يغدو هذا الاحتفال أعظم بختم المتعلم القرآن؛ بتنظيم طقوس متعارف عليها، تجعل من هذا المتعلم بطل هذا الحفل بامتياز؛ إذ يكون اليوم الذي يتم فيه الاحتفال يومَه ابتداءً من الفترة الصباحية؛ حيث يُعْتَنَى بشأنه مَظهراً، ويُزَوَّق لوحُه، ويَحْضُرُ ولي أمره للكُتاب؛ فيُكرِم المعلم بمبلغ مالي مقدر شكراً له على مجهوده مع ولده. وقد يستدعيه مع باقي تلامذته إلى منزله لمأدبة يُولِمُها لهم؛ فيتعطل الكُتاب بمن فيه، وتُنَظَّمُ مسيرة منه إلى المنزل بوضعٍ يكون فيه لهذا التلميذ المُحتفَى به شَرَفُ الصدارة والاعتبار بلباسه الحسن، ولوحه المزوق المشهور بين يديه، بين معلمه والمدعوين وزملائه الحافِّين به بذكرٍ وكلامٍ موزونٍ مُمَجِّدٍ للقرآن.

وهذه المرحلة تتسم على المستوى الشكلي بتغيير اللوح الذي يأخذ حجما أكبر، كما تتسم بتقدم نضج المتعلم الذي يصبح عليه الاعتمادُ على نفسه في مباشرة لوحه محواً وكتابة وحفظاً، كما تكثر أعباؤه المدرسية المتراوحة بين استيعاب محفوظه اليومي ومراجعته المتتالية لما مر معه من محفوظ سابق. وهنا تلعب مقدرة التلميذ وذكاؤه دورهما في عملية التشخيص هذه، وإن كانت العصا وألوان أخرى من العقاب البدني والنفسي وسلطة المعلم النابعة من شخصيته بمختلف تجلياتها مما يعتبر كُلُّه أساسياً في تقدم استيعاب التلميذ، واحتفاظه بمُسْتَوْعَبه السابق.

وقد تكون لهذا العقاب نتائجُ سلبيةٌ تجعل المتعلم يكره الكُتاب ومعلمه؛ فيتَمنَّع عن متابعة التعلم به، أو يكذب على أبويه بما قد يستمر عليه من ضلال إن رأى

منهما تصميماً على إبقائه بالكُتاب. وعلى النقيض من هذا، قد يصبح لكلمات الإطراء التي يَتَفَوَّهُ بها المعلم في حق تلميذه فعلُ السحر في حثه على الحفاظ على نتائجه الحسنة في الحفظ والاستيعاب؛ من مثل قوله له – وقد عرض عليه محفوظه جيداً– : فتح الله عليك، أو كأنْ يباهي به أترابه للاقتداء به، أو يكلفه بالمراجعة مع من دونه واثقاً في محفوظه ورجولته التي أسبغها عليه إكراما له وتشجيعاً.

المبحث الثاني : الوسائل التعليمية ، وآليات المراجعة

المطلب الأول : الوسائل التعليمية المعتمدة في الكتاتيب :

يتطلب تعلّم الكتابة على الألواح الوسائل التالية:

١ - **اللوح**: وهو من الخشب الأملس المتين الصالح للكتابة عليه من الجهتين.

٢- الصلصال: وهي مادة حجرية هشة، تجدد للوح حياة استعماله اليومي بعد محوه بالماء ؛ إذ تُمَرَّرُ عليه فتتفسخ جزئياتها عنده مُحْدِثة طبقة طينية لَزجة تُعَدَّل فَرْشة له بتمرير راحة اليد عليها من أسفل إلى أعلى، ثم تُتْرَك للشمس أو للهواء لتجف، فإذا جفت أصبحت صالحة لاستقبال ما يُكْتب على اللوح.

٣- القلم : كأداة للكتابة، وهو يُحَضَّرُ بَرْياً من القصب.

٤- الدواة: وهي قنينة زجاجية أو خزفية تصب فيها مادة الصمغ.

٥- الصَّمْغ: ويُحَضَّرُ من الصمغ المذاب بماء في دواة، ويُحْفَظُ استمرارُه وبقاء تماسكه بنَدْفة صوف توضع داخل الدواة، فإذا ما بدأ يفقد من سواده، حُرِّكَت الدواةُ بعَقِب القلم، فيعود الحبر إلى وضعه، فإذا استنفد بهاؤه اسْتُدْرِكَ بوضع المطلوب من الصمغ مع ما يناسب من الماء لتجديد الدورة.

٦- الكراك أو(الهجَّاي) : وهو عبارة عن عود من الشجر من الزيتون أو غيره على قدر قبضة الكف أو أصغر في طول عشر سنتيم يمسك به التلميذ أثناء القراءة في اللوح يتتبع به السطور، ويطرق أحيانا موضع القراءة أو في أسفل اللوح سعيا إلى تركيز المقروء في الحافظة، وغالبا ما يكون (الكراك) أو (الكرار) مزوقا مصبوغا بألوان، وقد يحفر عليه اسم صاحبه حتى لا يختلط بكرارات غيره أو أن يدعيه غير مالكه.

وقد تحدث بعض الباحثين عن أهمية هذا (الكراك) وسماه (الهجاي) أخذا من لفظ (هجاء الحروف) فقال : «ومن الآليات التي قد يستعين بها بعض التلاميذ في حفظ ألواحهم في هذه المرحلة الهَجَّايُ أو الهَجَّاية : وهي عُصَيَّةٌ تُحَضَّرُ من عود صلب بطول حوالي خمسة عشر سنتيماً، يجعلها التلميذ في يده شادّاً عليها أصابعه،

يضرب بها لوحه في عراك، قارئا مركزاً على المستعصي من الكلمات والآيات، حتى لتجد بعض هذه الكلمات وقد تَلِفَتْ من أثر الحك والدعك. وإذا باللوح في آخر المطاف ساحةُ معركة حقيقية» [1].

وإجراءات تنفيذ فعل الكتابة يتم بـ :

– **التحنيش**: ويكون بعَقب القلم أو بعُود في حجمه ضَاغطٍ على اللوح بما يريد المعلم كتابته عليه، فيُحدث آثاراً لهذه الكتابة على المتعلم إظهارُها مُتحرياً وَضْعَ الحروف في تطبيقه.

– **الأسطر بين التحنيش**: وهي مرحلة متقدمة ينتقل فيها المتعلم من تَرَسُّم الكلمات إلى تقليد أشكالها في الأسطر تحتها كلمةً كلمة.

– **استقلال المتعلم في الكتابة**: ويكون بعد امتلاكه ناصية الحروف كتابة؛ بِتَلقِّيه مُقرَّرَه اليومي من الحفظ إملاءً عن معلمه.

ولدى كل الإجراءات المتقدمة يكون دورُ المعلم تصحيحَ الإنتاج المُنْجَز، وتنبيه المتعلم إلى أخطائه وما عليه أخذُه بعين الاعتبار في الموضوع، بينما أولياء المتعلم في تتبعهم له يحتفلون به ببلوغه سُوَرًا معينة من القرآن احتفالاً رمزيًّا؛ فَيُكرمُون لذلك المعلم، ويكون ذلك مَثَارَ زَهْو وتشجيع لولدهم المتعلم[2].

المطلب الثاني : طرق المراجعة:

طرق مراجعة المحفوظ: وكترسيخ لماضي المحفوظ بهذه المرحلة، تصبح مراجعته من أوجب الواجبات المفروضة على المتعلم، باعتبارها من الوسائل

(١) كيف أبدع المغاربة في حفظ كتاب الله لمحمد بن يعقوب. منشور على موقع الرابطة المحمدية على الانترنت.

(٢) كيف أبدع المغاربة في حفظ كتاب الله لمحمد بن يعقوب. منشور على موقع الرابطة المحمدية على الانترنت مع تكملة من كتاب حياة الكتاب وأدبيات المحضرة للدكتور عبد الهادي حميتو: ٢/ ٥٩٢.٥٩٠.

الضرورية المعتمدة في برنامج الكُتاب المُتَّبَع. وتتفرع هذه المراجعة إلى:

أ- مراجعة فردية:

ولها أوقات معروفة في العادة أَوَاخِرَ الفترتين اليوميتين: الصباحية والمسائية بعد فراغ المتعلم من مهامه المناطة به على مستوى كل فترة؛ حيث يدعوه المعلم لمراجعة هذا المُتَجَاوَز من المحفوظ القرآني بكيفية انفرادية، أو تحت إشرافه إذا لامس في سلوكه التعلّمي غِشّاً أو ما شابه، أو إذا أراد التأكد من جديته أو مدى اتِّقَاد ذاكرته في تعاملها مع ماضي هذا المحفوظ. وهنا قد يُفاجأ المتعلم بدعوة لهذه المراجعة أَنَّى اتفق تحت هذا الإشراف. وغالباً ما يكون الوضع أسوأ؛ نظراً لما يصاحب هذا النوع من التوجه في المراجعة من حساب عسير.

ب – مراجعة جماعية :

وغالباً ما يكون توقيتها أواخر الفترة الدراسية اليومية المسائية، وقد يكون أواخر الفترة الصباحية. وفي كلتا الفترتين، يبقى أمر انعقاد حلقة المراجعة هذه بأمر المعلم. ويصبح الأمر عادياً لدى عطلة العيدين وذكرى المولد النبوي الشريف في بدايتها؛ حيث يكون الحضور في الفترة الصباحية فقط لغرض المراجعة. وصفتها: عقدُ حلقة من المتشاركين في المسيرة الحفظية متوازين- أو يكادون- فيما انتهوا إليه من سور القرآن بإشراف المعلم، أو تحت يد أحدهم ممن يثق المعلم في ظهوره عليهم؛ فتراهم يقرأون على لسان واحد من بداية مقررة إلى نهاية معلومة. وكلما انتهوا إلى وضع أحدهم الآني من هذه المراجعة، انسحب تاركاً من يفوقه في استغراقهم خائضين ، حتى أرقى متقدم في الحلقة.

المرحلة الأخيرة :

وهي المرحلة التي يظهر فيها المتعلم بعد ختمه القرآن مرة فأكثر؛ مما يعني تمكُّنُه من مادته الكتابية والقرائية؛ حيث يكبر حجم مكتوبه إلى ربع حزب في اليوم أو

يزيد بزيادة تقدمه، ويصبح أقل اعتماداً على المعلم في إملائه هذا المكتوب عليه، وقد يأخذ في كتابة لوحه من تلقاء نفسه.

والانكباب في هذه المرحلة يتوجه أصلاً إلى التعرف على القواعد الإملائية الشكلية والتصويرية المعتمدة في رسم كلمات القرآن الكريم بأحرفها التي قد تتباين - مثلا- في رسمها بصفتين مختلفتين على مستوى الكلمة الواحدة في موضعين مختلفين. كـ: (نعمة)، و(رحمة)، مما تُكتب التاء عنده مربوطة، وتكتب أيضاً مبسوطة في مواضع معينة إلى الثابت والمحذوف من الكلمات، والموصول ببعضه منها والمفصول، إلى تصوير الهمزة ومواضع تسهيلها، ومواضع الترقيق والتفخيم من الكلمات بشروطها، وما إلى هذا؛ فترى لوح التلميذ -الذي يَرْقَى في وضعه إلى رتبة طالب- مملوءاً بما يُصْطَلَحُ عليه بـ (الحط)، وأسفله نصوص تضبط ما تم الحط عليه صفة وعدداً ومواقع من وضع معلمه. فيصبح همه في هذه المرحلة ضبطُ أحوال ألفاظ القرآن وجمله بحفظ هذه النصوص التي تعمل على إحاطته بدقائق الرسم القرآني، وتبصيره بمواطن تلاقي وتقاطع الآيات المتشابهة أو أجزاء منها، واتقاد ذهنه فيما يمكن مبارزة أترابه فيه من هذا وذاك.

والطالب في هذه المرحلة، يجد معلمه فيه عوناً وسنداً على من هم دونه، وقد يُنِيبُهُ عنه في تغيب طارئ إذا رأى فيه من الرزانة ما يؤهله لهذه الثقة؛ مما يعني -ضمنياً- إجازتَه في القرآن الكريم، واعترافاً مبطناً بأهليته في الميدان؛ مما يكون مثار اعتزاز المتعلم وفخره.

الفصل الثاني

المعالم المنهجية في التحفيظ

المبحث الأول : الأسس العلمية التي يقوم عليها تعليم القرآن لدى المغاربة

١- التلقين والتلقي:

تعد مهارة إطلاق لسان الطفل من أهم المهارات المهمة في انطلاق الطالب للتعلم، ويحرص كثير من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على أن يحفظوا أبناءهم كتاب الله، لكن تتميز المدرسة المغربية بأنها تفتق ألسنة أطفالها بتلقينهم القرآن الكريم قبل أي علم من العلوم .

وقد أصّل لهذا ابن خلدون وفي ذلك يقول: «اعلم أن تعليم الولدان القرآن شعار الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن، وبعض فنون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات» [(١)].

ويهتم الكتّاب المغربي بموضوع التلقي كأصل من أصول تعلّم القرآن وحفظه ، فالطالب يأخذ القرآن من شيخه ويتلقاه عنه بداية من تعلمه لقصار سوره ،إلى أن يتقن تلاوته وحفظه، وهو طيلة هذه المراحل يأخذه عن شيخه كما أخذه رسولنا محمد ﷺ عن جبريل، وكما أخذه المقرئون عن شيوخهم بسندهم المتصل إلى رسول الله ﷺ.

وبهذا تتحقق أعلى درجات التثبت والإتقان من خلال منهج الأخذ والتلقي والعرض حسب المنظومة العلمية والمتمثلة في تعلّم القرآن في الكتاتيب بما يلي :

١- إملاء الشيخ على تلميذه، وهو ما يسمى في الكتاتيب بالإفتاء – وهو

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٨.

مصطلح مغربي خاص بالكتاتيب.

٢- قراءة الشيخ والطالب يسمع .

٣- عرض الطالب على شيخه إما من اللوح المصحح ، أو من حفظه.

وبهذا يتحقق للطالب في الكتاتيب أعلى درجات الضبط في التلقي والعرض، وهذه سنة مستمرة في الكتاتيب بل تعد من أسسها الهامة، في حين لا يحرص عليها اليوم في بقية العالم الإسلامي إلا من أراد الإسناد-غالبا-.

٢- التّكتيب:

وأعني كتابة الطلاب للقرآن في ألواحهم ،وهذا من أميز الأسس المنهجية للمدرسة المغاربية في تحفيظ القرآن، بل وتنفرد به عن المدرسة المشرقية.

والكتابة تساعد على ضبط الحفظ ، فتتشارك حاسة النظر ومهارة الكتابة مع السمع في ضبط الحفظ وإتقانه . فيكتب الطالب ما حفظ .

وكانت الكتاتيب في المغرب – ولا تزال – تعتمد على الألواح في تحفيظ القرآن للأطفال، فيتلقى الطفل عن أستاذه (المدرر) أو عن كبار التلاميذ – كما سيأتي بيانه – الآية أو الكلمة ثم يكتبها على لوحه، ثم يمحوها، وبطريقة تعاقب البالية والجديدة، فانه لا ينتقل من البالية فيمحوها حتى يتقنها.

وهذا الأساس له أثره في ثلاث جوانب هامة:

الأول: ضبط الحفظ.

الثاني: ضبط الرسم.

الثالث: ضبط الوقف.

ولاشك أن الأمر الأول يتقنه جميع من يكتب في الألواح، بينما الأمران الثاني والثالث يأتيان في مرحلة متأخرة بتدرج، وخاصة موضوع ضبط الوقوف.

وتتم عملية التكتيب بدرجات متفاوتة مراعية الفروق الفردية – كما هو مقرر في علوم التربية-.

١- الطبقة الأولى : يقوم المدرر برسم الكلمات بواسطة يراعه القصبي بدون صمغ أو بواسطة قلم الرصاص أحيانا فيقوم المتعلم باتباع كتابة الحروف بناء على ما خطّه المدرر وهو ما يسمى بالتَّحناش أو التَّحنيش، ثم يملي عليه كلمة أو كلمتين بدون تحنيش اختبارا لمهارته، وقد تطول أو تقصر هذه العملية حسب قدرات التلميذ.

٢- الطبقة الثانية: الفئة التي تستطيع الكتابة وتلتف حول المدرر تستمليه فيملي على كل واحد بالتناوب كلمتين أو ثلاث كلمات وتسمى هذه العملية بالإفتاء، وهو غير الإفتاء الشرعي المعروف وإنما هو إملاء. من أفتى يفتي كأملى يملي.

٣- الطبقة الثالثة: طبقة الحافظين الذين يكتبون من حفظهم وغالبا ما يبتعدون عن المدرر شيئا ما بقدر ما يمكن أن يلاحظهم ويراقب عملهم لكي لا يكتبوا الألواح من المصاحف.

وكتابة الألواح من المصاحف تكاد تكون محظورة في الجملة، سواء على الكبار أو الصغار، وذلك لأن هدف الشيوخ من عملية الإملاء لا يتحقق من النقل المباشر عن خط المصحف ولأن الإفتاء يقوم بوظائف تعليمية وتربوية مزدوجة وأهمها:

١- تربية ملكة حفظ كيفيات الرسم والضبط.

٢- تنمية القدرة على الاعتماد على النفس.

٣- إتاحة الفرصة للمتعلم للتعبير عن حذقه وبراعته في المعرفة بالرسم والضبط دون تعويل على المصحف.

٤- تمكين الشيخ أخيرا من قياس مدى قدرة المتعلم على التحصيل ومعرفة مستوى تقدمه على أقرانه في ذلك.

٣- التّصحيح:

عملية التصحيح في الكتاتيب تعد من الأسس العلمية المؤثرة في تعليم القرآن، وتشمل تصحيح الحفظ، وتصحيح الكتابة في الألواح

فعملية التّكتيب التي سبق الحديث عنها تأتي بعدها متابعة وتصحيح من الفقيه لضبطها ولتؤدي دورها.

فيقوم المدرر بتصحيح الألواح وتنبيه المتعلمين إلى الأخطاء التي قد يرتكبونها في المتن أو الرسم – حتى يحفظ من اللوح النص الصحيح.

وهذا له دوره في الحفظ الصحيح ، ولهذا نرى بعض من يحفظ القرآن يخطئ في المواضع ويتكرر منه ذلك بسبب أن حفظه أول مرة كان خطئا.

أعود للمدرر فهو يصحح للطلاب ،وغالبا ما يتم التعليق على ذلك بكتابة الكلمة الصحيحة بخط واضح أسفل اللوح أو أعلاه ما بين السطر الأول والبسملة، وغالبا ما يكون التعليق بواسطة النص أو بذكر مثيلات للكلمة المصححة.

ثم يقوم المدرر بسلك الألواح مع الطلاب من أجل تثبيتهم على الأداء الجيد من ناحية المتن والصوت فإذا تمت هذه العملية فهي إجازة لحفظ ما كتب في اللوح على أساس أنه أداء كامل للقرآن الكريم صوتا وأداء ورسما.

وهكذا فإن عملية التصحيح بعد التكتيب في الألواح تعد ذات ميزة علمية عالية في الجوانب الثلاثة التي سبق بيانها.

٤– التدرج :

من أهم المعالم المنهجية في التعليم القرآني في الكتاتيب : التدرج، وهذه قضية منهجية هامة في كل مناحي الحياة وهي في العلم آكد، وقد وضح اعتماد الكتاتيب لهذه المنهجية في التعليم من حيثما يلي :

١– التدرج في تلقين مبادئ الكتابة، وذلك برسم الحروف بخطوط كبيرة على الألواح.

٢– التدرج في البدء بتعليم وتحفيظ قصار السور من جزء عم.

٣– التدرج في الختمة الأولى بالحفظ من دون وقف، فيعمد المدرس إلى تحفيظ

الجزء المقروء متصلا غير مفصول اللهم إلا بانقطاع النفس، وهذا يدعى في الكتاب المغربي (السرابة) [١].

٤- التدرج في التحفيظ برواية ورش عن نافع، ثم بعد إتقانها يوجهه شيخه إلى بقية الروايات - إن رأى فيه القدرة على إتقان الروايات -.

إن التدرج خطوة منهجية وأساس علمي له أثره في استيعاب المتعلم للعلم وتعليم القرآن في الكتاتيب يراعي هذا ، فاستعمال اللوح في الحفظ يساعد على تدرج المتعلم ، لأنه يأخذ قسطا من القرآن حيث يبدأ بحفظ آيتين إلى ربع حزب يوميا.

وهكذا، فيكتب قدرا ثم يحفظه، ثم لا ينتقل منه، أي :من البالية إلى الجديدة حتى يتقنه حفظاً.

وقد وصف الرحالة المغربي الحسن بن الوزان الفاسي المعروف باسم ليون الإفريقي في كتاب (وصف إفريقيا) النمط الذي كان يجري عليه ما سماه (درس الأطفال) في الكتاتيب فقال متحدثا عن مدينة فاس المغربية في القرن التاسع الهجري:

«توجد قرابة مائتي مدرسة (كتَّاب) للأطفال الراغبين في تعلم القراءة، في كل مدرسة قاعة كبيرة بمدرجات تستعمل كمقاعد للأطفال. ولا يعلم المعلم القراءة والكتابة في كِتاب، بل في ألواح كبيرة يكتب عليها التلاميذ.

ودرس كل يوم عبارة عن آيات من القرآن، فيختمون القرآن في سنتين أو ثلاث، ثم يستأنفون ذلك عدة مرات، إلى أن يحذقه الطفل جيدا، ويحفظه عن ظهر قلب، يحصل على ذلك بعد سبع سنوات على أبعد تقدير، وبعد ذلك يقوم المعلم بتعليم الأطفال شيئا من قواعد الكتابة» [٢]

(١) ينظر : خصائص رواية ورش لمحمد علي عطفاي ص ١١٨. والسرابة : تشبه الحدر في القراءة .

(٢) وصف إفريقيا للحسن بن الوزان الفاسي: الجزء الأول: ص٢٦١.

المبحث الثاني : ميزات المنهاج المغربي في التحفيظ

١. ضبط الحفظ.
٢. ضبط الرسم .
٣. ضبط المتشابه.
٤. ضبط الوقف.

إن طريقة حفظ القرآن لدى المغاربة ومراحلها وأسسها العلمية والمنهجية يظهر فيها تميّز هذه المدرسة بضبط الحفظ والرسم، مما جعل ابن خلدون يرى أن المغاربة «أقوم على رسم القرآن، وحفظه من سواهم» (١).

هذه وقفة تحليلية لبيان هذه الميزات، ستتركز هذه الوقفة حول ميزات أربع، فقد امتاز المغاربة – منذ القدم – بحفظ القرآن، وإتقان رسمه، وضبطه وتجويده (٢).

الميزة الأولى : ضبط الحفظ :

تسعى كل المدارس القرآنية والكتاتيب والزوايا - باختلاف مناهجها وتنوع أساليبها - لتحقيق هذا الهدف وهو: حفظ القرآن الكريم وضبط حفظه ؛ لما لذلك من أثر في تنشئة الطفل الدينية واللغوية.

ولقد توافر في تعليم القرآن وحفظه في الكتاتيب القرآنية في المغرب مجموعة مقومات علمية ومهنية وتربوية تجعل خريج هذه الكتاتيب ذا مُكْنةٍ عالية في إتقان الحفظ.

أول هذه المقومات :

١- البدء بحفظ القرآن في التعلم منذ الصغر:

فلقد كان من المنهجية العلمية للمغاربة في تعليم أطفالهم البدء بحفظ القرآن – كما سبقت الإشارة إليه، وهذه القضية ذات تأثير كبير في إتقان الحفظ في المراحل

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٣٨.
(٢) ينظر: القرآء والقراءات بالمغرب ص ١٢.

المبكرة للطفل، فهذه المرحلة مهيأة من حيث قلّة الشواغل، والاستعداد الذهني لضبط الإتقان.

يقول ابن خلدون: «إن تلقين القرآن في هذه السنّ المواتية أولى من أن تذهب خِلواً منه بحصول القواطع والآفات» (١).

وقد صدق ابن خلدون في هذا، وهي رؤية علمية من منظّر كبير من منظري علم الاجتماع، ويشرح نظريته هذه في أثناء رده على ابن العربي- بعد أن نقل رأيه الذي يرى فيه أن يبدأ أولا بتعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الأندلس -.

فيقول: «وهو- أي رأي ابن العربي - لعمري مذهب حسن، إلا أن العوائد لا تساعد عليه ،وهي أملك بالأحوال، ووجه ما اختصت به العوائد من تقديم دراسة القرآن، إيثار التبرك والثواب، وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم، فيفوته القرآن؛ لأنه مادام في الحِجر منقاد للحكم، فإذا تجاوز البلوغ وانحلّ من ربقة القهر ،فربما عصفت به رياح الشبيبة فألقته بساحل البطالة، فيغتنمون في زمان الحجر وربقة الحكم تحصيل القرآن لئلا يذهب خِلواً منه...» (٢).

٢- البرنامج المقنّن في طريقته ووقته اليومي للحفظ :

انطلاقا من عناية المغاربة بتحفيظ القرآن فقد رسموا منهجا علمياً مترابطا في مراحل الحفظ، وطريقته، وجدولته، لاستظهار القرآن، مراعين عامل الزمن في إتقان الحفظ، يتمثل هذا المنهج علميا ومهنياً في المرتكزات التالية:

أولا: الجدول الزمني والممرحل بمراحل متناسقة ومتدرجة:

وذلك أن الحفظ يمر بثلاث مراحل عندهم ، يختم في كل واحدة. وتمام الضبط

(١) مقدمة ابن خلدون :الفصل الواحد والثلاثون :ص ٥٤٠.

(٢) المرجع السابق :٥٣٩-٥٤٠.

يحصل في الختمة الأخيرة.

وهذا البرنامج هو:[1]

١- البدء بالحزب (سبح) وهذه المرحلة الابتدائية الأولى في الكُتّاب التي تنتهي في عرف الأنصبة المغربية بالمرور على ثلاثة أحزاب وهي الستون، والتاسع والخمسون، والثامن والخمسون.

٢- سورة تبارك الملك وهي بداية المرحلة الابتدائية الثانية، وتنتهي بسورة الرحمن.

٣- سورة الرحمن وتمثل بداية المرحلة الابتدائية الثالثة التي تنتهي بتحصيل عشرة أحزاب من سورة الأحقاف إلى سورة الناس.

٤- ثم يشرع في الحفظ حزبا حزباً إلى أن يصل إلى سورة طه التي تمثل نصف القرآن.

٥- ثم يستأنف النصاب الأخير وينتهي بنهاية الثلاثين حزبا الباقية.

وهنا يمر الطالب مروراً أولياً على القرآن، قد يصاحبه – أي هذا المرور- حفظ كلي أو جزئي وهو الغالب .

فكأن هذا يعد أرضية أولية لبداية الحفظ الجادة، وهذا له دوره في أخذ القرآن وتلقيه، فإن الله عز وجل قد قال لنبيه ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة:١٦].

ومن هنا تبدأ المرحلة الثانية وهي الختمة الثانية :

فيكتب الطالب كل يوم ربع حزب، مع مراعاة الفروق الفردية، فقد يقلُّ هذا المقدار أو يزيد، فإذا كان ذا حافظة قوية اعتمد كتابة نصف حزب وبهذا يختم في ستة أشهر، وان كان أقل يكتب كل يوم ربع حزب ويختم في سنة، وإن كان أقل من ذلك يكتب ثمنا ويختم في سنتين.

وهذه الختمة تعدّ مرحلة هامة في إتقان الحفظ، لما تحتاج إليه من المراجعة

(١) ذكر هذا البرنامج إبراهيم الوافي في بحثه: قضايا تربوية في برامج وأنصبة الكتاتيب القرآنية ٢٢٣-٢٢٤.

والتقويم والإعداد للكتابة بحفظ ما سيكتب والاعتماد على النفس في كتابته كتابة تراعي الرسم والأداء، ويكون دور المدرس فيها حاسما – كما يقول إبراهيم الوافي – من حيث التدارك والتحقيق والضبط، ومراعاة الأشباه والنظائر وما إلى ذلك مما تحكمه الأنصاص المتداولة في هذا الصدد.

المرحلة الثالثة :

وهنا يدخل الطالب مرحلة الإتقان والضبط، فيكتب من حفظه نصف حزب يومياً، وذلك لما يتوافر عليه التلميذ من قسط كبير من المحفوظ، وقلة الهفوات في الرسم [(١)].

إن الناظر في مراحل التدرج التي يمر بها الطالب في الكُتَّاب، والوقت الذي يمضيه في الحفظ يدرك قوة ومتانة الحفظ في هذه الكتاتيب، والتي يطرزها بالتسميع حفظا وكتابة للقرآن، ولاشك أن هذين عاملان هامان في متانة الحفظ وهما:

١- عامل التدرج، وقد سبق عنه حديث أنه من أهم الأسس لنجاح تعليم القرآن وحفظه في الكتاتيب

ثانياً :عدم التعجل في الحفظ:

فلا يحفظ القران بطريقة المغاربة إلا في مدة طويلة، تمر بعدة مراحل – كما سبق– حتى يتقن السُّكلة الأولى. [(٢)]

فمسألة الوقت في الحفظ أمر له أثره وتأثيره في متانة الحفظ واستقراره فما حفظ في وقتٍ وكرر ثبت وقرّ، وما حفظ سريعا نُسي سريعاً – كما يعاني منه حفاظ الدورات المكثفة التي راجت اليوم في بعض البلدان –، والله عز وجل قد قال لنبيه

---

(١) ينظر: قضايا تربوية في برامج وأنصبة الكتاتيب القرآنية ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٢) يمر حفظ القرآن الكريم في الكُتَّاب بثلاث مراحل متتابعة: السُّلْكَة الأولى، جمعها سُلك، وتبدأ هذه المرحلة من سورة الناس إلى أن تصل إلى سورة البقرة والفاتحة، ثم تستأنف السلكة الثانية نزولا من الفاتحة والبقرة إلى سورة الناس، ثم بعد يبدأ الصعود في السلكة الثالثة، وهي المرحلة الأخيرة، والتي يفترض فيها الحفظ التام للقرآن الكريم من قبل المتعلم؛ ليجوز لذويه أن يحتفلوا به على هذا الإنجاز.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[القيامة: ١٦].

وأقول إنني قد قابلت في بعض الكتاتيب في المغرب من كتب القرآن كاملا ثمان ختمات ولاشك أن هذا فيه من الضبط ما يمكن صاحبه من الحفظ المتقن، فأنى ينسى ما حفظ بهذه الطريقة؟!

ويمكن أن أخلص إلى أن مقومات ضبط الحفظ في الكتاتيب المغربية هي:

أ- مقومات فكرية ،وهي المتمثلة في نظرية التعليم.

ب- مقومات مهنية في عملية التحفيظ وهي المتمثلة فيما يلي:

١- اختيار أحسن الأوقات المناسبة للحفظ في أول النهار .

٢- تجزئة الحفظ.

ثالثا : طريقة التلقي والمراجعة المتكررة يوميا، فالطالب في الصباح بعد الفراغ من التصحيح يُلزم أن يسمع من شيخه عند التصحيح ويتابع معه، ثم يأخذ اللوح ويقرأه والشيخ يسمع ليصحح له وينبهه على كيفية القراءة ومخارج الحروف، ومن المشايخ من يقرأ مع التلميذ بعد سلك اللوح وتصحيحه وتسمى: النَّفذة.

ثم يذهب لحفظ ما كتبه في هذا اليوم وتسمى هذه الحصة بالجديدة، وما كتبه بالأمس تسمى(البالية)، فما كتبه اليوم في الصباح بعد تصحيحه يبدأ في حفظه واستظهاره، ثم عرضه على شيخه وتسمى (العرضة الجديدة).

فإذا حفظها واستظهرها وعرضها على شيخه أو على مساعد شيخه إن كان له حزب سبق أن كتبه وعرضه وحفظه راجعه، وعرضه على شيخه كذلك.

وعند اقتراب نصف النهار يطلق الشيخ سراح الطلاب بعد مراجعة (المحية) وعرضها.

ثم يشرعون في حفظ ما كتبوه بالأمس بالكيفية التي ذكرها وتسمى (البالية)؛ لان الجديدة هي التي كتبت صباح هذا اليوم، والبالية هي التي كتبت صباح الأمس، والمحية هي التي محيت في صباح هذا اليوم، وكتبت مكانها الجديدة.

وبعد العصر يعرض البالية [١].

وهكذا فان الطالب يحفظ قدرا جديدا يوميا ويعرضه، ويراجع ما حفظه بالأمس بشكل علمي متقن يقوم على:

- الحفظ اليومي .
- المتابعة للحفظ .
- عدم الانتقال من الجزء المحدد والمكتوب في اللوح حتى يتم إتقانه.
- الاستظهار للمحفوظ صوتا وكتابة.
- المراجعة اليومية والموسمية والتثبيت لما حفظ (يذكر هنا البرنامج اليومي والأسبوعي والسنوي).

رابعا: التشجيع والحفاوة التي تقدم للحافظ :

تتميز المدرسة المغربية بحفاوتها البالغة بطلابها الحفظة عبر احتفالية موروثة، فيها تشجيع للحافظ على إتقان حفظه واجتهاده فيه.

«وقد كان الناس في تعليم القرآن وتعلمه في حرص شديد وشوق زائد، وكثيرا ما كان يتمنى إنسان منهم أن يرى من أولاده الذين خرجوا من صلبه من يستظهر القرآن الكريم، ثم إذا عاينه فإنه يجعله سيد إخوته ،ويتصدق عليه بشيء من ماله يوم الحذاقة» [٢].

ولذلك كانت تقام احتفاليات متعددة لكل مرحلة ينجزها الطالب، ويكون التكريم في مرحلة دافعا لما بعدها، فإن التكريم يعظم كلما تقدم الطالب في الحفظ.

وطريقة التكريم حسب مراحل الانجاز، أو الختمات كما يسميها المغاربة - تختلف باختلاف البيئات اختلافا يسيراً-.

---

(١) ينظر: وسائل تحفيظ القرآن في الكتاتيب – محمد منيكط ص ١٩٥.

(٢) الدراسات القرآنية بالمغرب ص ٢٠-٢١، ويوم الحذاقة هو: يوم الاحتفال بإنهاء الطالب القرآن حفظا.

وهذا وصف لبعض ما يحصل في كتاتيب شمال المغرب :

يقول العلامة محمد داوود ، تحت عنوان : الختمات :

«ولهذه المسايد عوائد أخرى تختلف باختلاف البيئات والبلاد، فهناك الختمات إذا حفظ الولد فاتحة الكتاب والمعوذتين وكتب في لوحه أول سورة الإخلاص، فتلك هي الختمة الأولى، يكتب له الفقيه أول سورة الإخلاص ويخط له في اللوح رسما يسمى الزواقة [1]، فيفرح الولد ويأخذ لوحه الى أهله فيفرحون أيضا ، وقد يبقى يوما أو أياما لا يذهب فيها للمسيد، لأنه ختّام، ثم يدفع له أهله شيئا من الدراهم، ويلبس من أحسن ثيابه، ويذهب بذلك حاملا لوحه للمسيد ... ويدفع للفقيه المال ..

ثم إذا وصل إلى أول سورة (لم يكن الذين كفروا) فتلك ختمة ثانية، ثم تتوالى الختمات كلما وصل إلى أوائل إحدى السور التالية: سبح، عم، قل أوحي، تبارك، الرحمن، إنا فتحنا، ص.

فإذا أتمّ حفظ حزب (طه) وكتب أول حزب ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل﴾ [الآية:٧٥ الكهف] فإنه يكون قد أتم ثلاثين حزبا – أي نصف القرآن–، وهذه الختمة تسمى: البقرة الصغيرة، وزوّاقتها كبيرة منمقة، تشمل اللوح كله، وقد تكون بالأصباغ الملونة، ويحق لصاحبها أن يتمتع بالراحة بضعة أيام، ثم يحدد يوما يحضر فيه للمسيد صباحاً، ومعه مائدة أو موائد مملوءة... فيأكل التلاميذ، ثم يحررون[2] بقية اليوم، وتسمى هذه التحريرة : قيالة.

وبعض الأغنياء يأخذون التلاميذ إلى ديارهم، ويقيمون حفلة يستدعون لها بعض العلماء والأعيان، وفي هذه الحالة يذهب التلميذ الختّام إلى المسيد، وقد لبس

(١) الزوّاقة– بتشديد الواو– أي : الزخرفة.

(٢) التحريرة : أي الاجازة أو ما يسمى اليوم بالعطلة.

أحسن ثيابه وحمل المزوق، فيصحبه رفقاؤه من المسيد إلى داره وهم ينشدون بأصوات مرتفعة ونغمات خاصة كلاما ملحوناً، كقولهم:

الصادق ما ضاق والعلم صادق

وافرح يا ومّو وختم لك علمو

وهناك تقام مراسم احتفال ...، ثم يمنح الطالب تحريرة بايتة وهي: بقية يوم الحفلة واليوم الذي بعده .

- ثم إن الولد لا يحظى بختمة أخرى إلا إذا وصل إلى سورة (يوسف) ثم (كهيعص) ، ثم لا تبقى أمامه إلا البقرة الكبيرة، وهي ختم القرآن.

والبقرة الكبيرة تخوّل لصاحبها راحة أكبر وعطلة أكثر، وكانت العادة عند الأغنياء أن يذبحوا بقرة كبيرة، ويقيموا بدارهم حفلة كبيرة ويدعون لها الناس ... »[1].

- وأقول لاشك أن هذا التحفيز المتتابع والاحتفالات الموروثة تشجيع الطلاب على المضي في حفظ كتاب الله وشحذ لهممهم للتنافس في ذلك .

خامسا : الامتحانات المركزة للحفظ، ومنح الإجازات :

مما يدفع الطلبة لإتقان الحفظ استعدادهم لإجراء الاختبارات، للحصول على الإجازات، للتأهيل للدخول إلى بقية العلوم، والشروع في مراحل متقدمة في تعلم القراءات.

«تتميز مرحلة طلب إجازة التأهل من الشيخ وشهادته للطالب بتمام التحصيل بما يتقدمها من امتحان طويل الأمد، صعب التحضير، لينال الطالب بعد ذلك إجازة من أستاذه مكتوبة في الغالب على الرق أو الورق عند المتأخرين في مضمون مستوعب وشكل بديع مذيّل بشهادات العدول أو غيرهم على الشيخ المجيز بتلك الإجازة».

ونظرا لصعوبة هذا الاختبار ولحرص الطلاب على هذه الإجازات فإن ذلك يدفعهم لمراجعة حفظهم وضبطه «ولا غرابة إذا قلنا: يقرأ الطلبة ختمة من القرآن

(١) على رأس الأربعين – محمد علي داود ص ٣٧-٣٩.

في كل يوم عند اقتراب الامتحان » [١].

ويصف لنا محمد العربي الدويري طريقة الاختبار فيقول :

«تحضر لجنة مكونة من اثني عشر شيخا – عضو- حسب أخماس القرآن الكريم كل عضو يأمر الممتحن بقراءة ربع حزب من خمسة أحزاب خاصة، والفائز المتفوق هو الذي لا تنقصه ولو كلمة واحدة ،وقد يسمح لغيره بكلمة أو كلمتين على الأكثر.

وحرصا على الحفظ والنزاهة يجرى الامتحان، والآباء والسكان يلاحظون ويستمعون قصد النزاهة والعدل، وبعد النجاح يسجل الطالب في لائحة حفظة القرآن الكريم داخل القصر أو القرية » [٢].

الميزة الثانية: ضبط المتشابه:

المقصود بها: الحروف التي تشكل على المبتدئ سواء على مستوى تقديم الكلمة أو تأخيرها، أو زيادة حرف أو نقصانه، أو تبديل حرف بآخر[٣].

يعد موضوع المتشابه في الألفاظ من الأمور التي يعنى بها الحفاظ، ولقد ألف فيها العلماء منظومات كهداية المرتاب للإمام السخاوي[٤].

ولقد اعتنت المدرسة المغربية لتحفيظ القرآن ممثلة في الكتاتيب بهذا الأمر، وذلك بتأليف الأنصاص، والحطية، والرموز والتي تؤدي عدة أمور، منها : تثبيت الآيات المتشابهة التي يصعب حفظها، وتأطير الكلمات المتشابهة في التقديم والتأخير والحذف والإثبات والضبط [٥].

---

(١) مراحل وآليات تحفيظ القرآن الكريم في الكتّاب ص٢١٦.

(٢) مراحل وآليات تحفيظ القرآن الكريم في الكتّاب ص٢١٦-٢١٧. القصر هو تجمع سكني مبني من الطين، محاط بسور له باب كبير، وغالبا ما تسكنه قبيلة واحدة يكون في ملكها، والقصور مساكن الصحراء والمناطق الجنوبية وبعض الشرقية في المغرب.

(٣) ينظر: الأنصاص القرآنية، د: العيادي ٢ / ٦١٧.

(٤) ينظر: وسائل تحفيظ القرآن في الكتاتيب – محمد منيكط ص ١٩٥.

(٥) ينظر: الأنصاص والحطية آلتان مساعدتان لضبط الرسم العثماني في الكتاتيب القرآنية المغربية – محمد الزياني ٢٢٨.

ولقد اعتنى الفقهاء المدررون بمثل هذه المتشابهات اللفظية ونظموها في أنصاص لتسهيل ضبط هذه المتشابهات على طلابهم، والشأن أن تكتب هذه الأنصاص أسفل الألواح، فيحفظها الطلاب كما تحفظ المتون الأولية[١].

وهي منظومات كثيرة يصعب حصرها، لأن كل عالم ينظم لطلابه ما يرى أنه يساعدهم على ضبط الألفاظ المشكلة، وقد رأيت هذا في أثناء إطلاعي على الدراسات المعتنية بالكتاتيب بحيث يورد بعضهم أنصاصاً ويعلّق أنها مما أخذها عن شيخه -أي أنها من نظم شيخه -[٢].

ولقد اختار د/ عبد العزيز العيادي من أنصاص المشاكل ما كان له أهمية خاصة – كما يقول - شكلاً ومضموناً، ورتّبها حسب الحروف الهجائية التعليمية المتبعة في المدرسة القرآنية المغربية، وسردها مع بيانه لها وتعليقه عليها بذكر مواضعها من القرآن.

يقول د/ عبد الهادي حميتو: ولكن هذه الأنصاص – أي التي ذكرها العيادي- غالبها من اللهجات المحلية بشمال المغرب، وهناك أنصاص غيرها كثيرة في الجنوب الغربي من المغرب، وأنصاص أخر باللغة الأمازيغية [٣].

- **ما هي الأنصاص ؟**

الأنصاص : مصطلح متداول بين أرباب القراءات في المغرب للتعبير عن مجموعة من القواعد التي تؤطر الكلمات الخارجة عن القياس في رسمها أو ضبطها أو في كيفية أدائها. كما تؤطر هذه الأنصاص الكلمات المتشابهة في التقديم والتأخير والحذف والإضافة مع التنصيص على أماكن وجودها في القرآن الكريم إما بواسطة السور أو بواسطة الأحزاب والأرباع والأثمان.

---

(١) القراء والقراءات بالمغرب ص ١٧٢.

(٢) كمثال على ذلك ما كتبه محمد الزياني في بحثه الأنصاص والحطية آلتان مساعدتان لضبط الرسم العثماني في الكتاتيب القرآنية المغربية – هامش ١٦ ص٢٣٥ وهامش ١٩ ص ٢٣٧.

(٣) حياة الكتاب وأدبيات المحضرة ٢ / ٦٧١ ،وقد ذكر لذلك أمثلة فلتراجع ص ٦٧٧ ومابعدها.

والأنصاص كلمة مغربية صرفة، نجدها في كثير من الاستعمالات اليومية على شكل جمع أو مفرد... والأنصاص جمع نص وهو من جموع القلة على وزن أفعال... وهي عبارة عن قواعد منظومة في أراجيز مختصرة أو مطولة، ينظمها الفقهاء لتلامذتهم بطريقة عفوية وبلغة عامية أحياناً أو على شكل الشعر الملحون من أجل تقريب الكلمات التي تقع فيها الأخطاء عند كتابتها أو النطق بها من التلاميذ المتعلمين[1].

والشأن أن تكتب هذه الأنصاص أسفل الألواح، فيحفظها الطلاب كما تحفظ المتون الأولية .

– أنواع الأنصاص من حيث الموضوع : تنقسم إلى ستة أقسام ومنها:

– أنصاص تتناول الكلمات المتشابهة في القرآن (المشاكل)، وقد ذكر سعيد أعراب أنها أول ما ظهرت بالأندلس في حدود المائة السادسة [2]، إلا أن الدكتور عبد الهادي حميتو استدرك على ذلك فذكر أن بدايتها كانت قبل ذلك بنحو مائتي سنة فيقول: «وأقدم ما وقفت عليه منها مذكور في كتاب التنزيل في رسم المصحف لأبي داود سليمان بن نجاح تلميذ أبي عمرو الداني المتوفى سنة ٤٩٦ هـ » [3].

ثم قال – وهذا مثال لطيف للأنصاص التي تضبط المتشابه – وأطرف من هذا أنه سبق الى نظم مواضع ورود لفظي اللعب واللهو، فقال في أول موضع من ذلك في سورة الأنعام :

اعلم بأن اللعب قبل اللهو ... أربعة أحصيتها للسهو
في سورة الأنعام منها اثنان ... وفي الحديد والقتال اثنان
تتمة العدة فاعلمنه ... وميّز القريض واحفظنه

– ومن أمثلة هذه المتشابهات:

(١) الأنصاص ، د: العيادي ١ / ٩٩– ١٠٠.

(٢) القراء والقراءات بالمغرب ص ١٧٠.

(٣) حياة الكتاب وأدبيات المحضرة ٢ / ٦٧١ ،وقد ذكر لذلك أمثلة فلتراجع ص ٦٧٧ومابعدها.

١- تشابه الآيتين المتضمنتين لـ: الصم والبكم والعمي من سورة البقرة.

فقال الناظم [١]:

صم في ظلمات لا يرجع ينعق فلا يعقل دعاء لا يسمع

فالشطر الأول يشير إلى قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة :١٧-١٨].

والشطر الثاني يشير إلى الآية الثانية من سورة البقرة ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[البقرة :١٧١].

٢- ومثال آخر : تشابه الآيتين الواردة إحداهما في سورة التوبة ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الآية:٣٢] ، و[الآية: ٨] في سورة الصف ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ فقال الناظم [١].لضبط هذا المتشابه :

ولام كي مع يطفئوا مذكورة من قبل والله متم نوره
في سورة الصف بلا ارتياب فاحفظهما هديت للصواب

ثانياً : الرموز:

ومما ضبط به المغاربة المتشابه الرموز وهي:

تقنية من التقنيات التي ابتدعها الحفاظ لتقييد العديد من الكلمات والمواضع الخاصة برسم القرآن والعاملة على تيسير حفظه.

إذن فهذه الرموز تؤدي مهمتين، ضبط الرسم، وضبط المشكل من المتشابه من القرآن.

وهذه أمثلة لنماذج لتذليل آيات متشابهة في القرآن:

- نموذج لتذليل صعوبات سورة النمل في قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٣].

(١) وهو الشيخ د/ التهامي الراجي الهاشمي، كما ذكر ذلك الزياني في بحثه عن الانصاص ص ٢٢٣.

فقد جمعوا حروفه في قولهم « بِبَقتقٍ » ، وبيانها هكذا:

ب : بل هم قوم يعدلون .

ب : بل أكثرهم لا يعلمون.

ق : قليلا ما تذكرون .

ت : تعالى الله عما يشركون.

ق : قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين [١].

٢- ومما يضبط به المتشابه : الحِطّية.

والحِطّيات : تقنية من التقنيات التي ابتدعها الحفاظ لإحصاء ما ورد في القرآن من الجوانب اللفظية.

يقوم فن الحِطّيات على إحصاء ما في القرآن من حروف وكلمات وجمل متكررة أو متشابهة [٢].

وزاد بعضهم في التعريف قوله: فوضعت فوقها أرقاما - في المرحلة التعليمية فقط - تدل على عددها مع الإشارة إلى أماكن وجودها[٣].

ويشرح ذلك د. إبراهيم الوافي فيقسم الحط قسمين: الحطّ في إطاره الأصلي، والثاني: الحط في إطار العدد[٤] ، ثم يقول: والحطّ يستعمل في مجالين:

- مجال الكلمات التي تتشابه في شكلها أو رسمها أو ضبطها، أو فيهما معا.

- ومجال العد والحصر، أي أن عملية الحط بواسطتها يستطيع المصحح أن يدل كم مرة تكرر ذلك اللفظ الموضوع الرمز فوقه في القرآن ككل، ولكن الحط لا يحدد المواطن، فرمز الحط ناطق بالعدد دون أن يدل على تحديد المكان، ويبقى

(١) ينظر: حياة الكتّاب - حميتو ٢ / ٦٩٦

(٢) ينظر: القراء والقراءات سعيد أعراب ٦٧-٦٨ .

(٣) وهو د: العيادي في الأنصاص ١/ ١٠٦

(٤) ينظر: الدراسات القرآنية بالمغرب ٤٨.

التحديد المضبوط من اختصاص النصوص أو الكراريس التي تجمع بين العدد وبيان مواطن الكلمات بالإشارة إلى الأرباع التي توجد فيها.

وقد ظهرت مدرسة الحطّيات في حدود أوائل القرن الثالث عشر الهجري، ومن أبرز مشايخها بجنوب المغرب أبو عبدالله أعجلي (١٢٠٠-١٢٧١هـ)، وبالشمال أبو العباس الميزوري[١].

- والعناية بالحطّيات لضبط المتشابه تأتي هي والنظائر بعد المرحلة الأولى من التحصيل، وتسهم في ضبط أمور علمية هامة في حفظ القرآن أخرى كالرسم والضبط لتؤكد ميزة المدرسة المغربية في حفظ القرآن وضبط متشابهه بهذه المنظومات.

يقول د : عبد الهادي حميتو في أثناء حديثه في فصل عقده للنظائر والحطيّات والعدد :

« وتأتي مرحلة حفظ هذه النظائر بعد المراحل الأولى من التحصيل وتتعاون مع أنصاص الرسم والضبط والعدد في تثبيت القواعد ومعرفة الفروق وتمييز الحالات المختلفة التي تأتي عليها أوضاع ألفاظ القرآن لتقييد مواضعها، وتقوم العملية على تتبع العلاقات اللفظية بين حروف الكلمة في نفسها أو بين كلمتين متتابعتين، إما في الرسم، وإما في الضبط، وإما فيهما معاً، وعلى ملاحظة عدد تكرر اللفظ في القرآن الكريم على هذه الصفة بتسمية الربع من الحزب الذي وقع فيه ذلك، أو تسمية السورة أو نحو ذلك فيما يتعلق بالعدد أو الثبت أو الحذف أو الحمل أو الوقف وغير ذلك »[٢].

وهذه أمثلة للحطِّيات المتعلقة بتحفيظ الرسم، ومنها:

١- التحفيظ بواسطة النظائر (الأخوات)

كالتنظير للظاء المشالة المنونة بالنصب وبعده الواو هكذا ويوضع عليها رقم ٣

---

(١) ينظر :القراء والقراءات سعيد اعراب ٦٧-٦٨ ، والأنصاص للعيادي ١/ ١٠٦، والدراسات القرآنية بالمغرب للوافي ٤٨ ، وحياة الكتاب لحميتو ٢/ ٦٨٧.

(٢) حياة الكتاب: ٢/ ٦٨٧.

في صورة حرف س.

أَيْقَاظاً وَهُمْ

مَحْفُوظاً وَهُمْ

تَغَيُّظاً وَزَفِيراً

وكالتنظير للتشابه في التقاء التاء بالثاء مثل :

كنتَ ثَاوياً

رأيتَ ثَمَّ

٢- التحفيظ بواسطة الرموز لضبط متشابه الرسم مثل الرمز للياء المخففة التي بعدها ألف ثابتة آخر الكلمة بالرمز التالي: **(ولفنا أتاي)**

و : وَأَلْفَيَا

ل : لَقِيَا

ف : فَاتِيَا

ن : نَسِيَا

أ : أَتَيَا

ت : تَنِيَا

ي : يُغْنِيَا

وكالرمز للياء المخففة المنونة بالنصب برمز **(عَدَّ ثَوْرُهُمْ)**

ع : عَالِياً

د : دَاعِياً

ث : ثَاوِياً

و : وَادِياً

ر : رَابِياً

هـ : هَادِياً

م : مُنَادِياً

الميزة الثالثة : ضبط الرسم :

المقصود بالرسم هنا هو رسم المصحف وهو: طريقة كتابة كلمات القرآن الكريم في المصاحف التي كتبها الصحابة رضي الله عنهم في خلافة عثمان ﷺ [(١)].

ولهذا العلم أهميته فقد عدّه العلماء أحد أركان القراءة الصحيحة، يقول ابن الجزري: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها ...، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ... » [(٢)].

ولقد اهتم المغاربة بالرسم اهتماماً لا مزيد عليه مولين له العناية التي يستحقها، ويرون أن الاحتفاظ به والدفاع عنه واجب ديني لا يختلف عن ذلك إلا لاءٍ –كما يقول التهامي الراجي –[(٣)].

فمعرفته ضرورية للحافظ ،والذي لا يعرف فن الرسم العثماني من الحفظة والمهتمين يعد بينهم شاذاً[(٤)]؛ لان إتقان الرسم ينبغي أن يواكب عملية حفظ القرآن، ولا يضر إذا تأخر عنها بقليل.

واهتمام المغاربة في تعليم الرسم القرآني في الكتاتيب ظاهر من حيث :

١– ربط الحفظ بالكتابة :

وهذا من تفرُّدات تعليم القرآن في الكتاتيب في غرب إفريقيا كلها، وعلى رأسها

(١) ينظر: شرح المقدمة الجزرية ، د: غانم قدوري ص ٥٧٩ ، ورسم المصحف ص ١٣٠ ، له أيضا.

(٢) النشر في القراءات العشر ١ / ١٩.

(٣) في تقديمه لكتاب الأنصاص القرآنية ١ / ٤.

(٤) هكذا يقول إبراهيم الوافي في كتابه: الدراسات القرآنية بالمغرب ص ٤٨، ويقصد بالشذوذ هنا القلة.

كتاتيب المغرب، إذ أن الطالب يتدرج في ضبط رسم الكلمات منذ بداية مسكه للقلم وكتابته في اللوح، ويتدرج أيضا في ضبط الرسم.

وتبدأ العناية بهذا الأمر منذ وقت مبكر «والشأن أن يكون لكل صبي لوح يكتب فيه ما يريد أن يحفظه »[1].

٢- ربط الطلاب بحفظ منظومات لضبط الرسم.

ويدرب الطالب على ضبط الرسم بمساعدة الأنصاص والحطيات والرموز.

وقد سبق الحديث عن الأنصاص والرموز، وسأكتفي هنا بذكر أمثلة لهما في ضبط الرسم:

- فمن أمثلة الأنصاص التي تضبط الرسم للطلاب: أكتفي بمثالين، هما:

١- النص المنظوم لضبط كلمة (لكيلا) ومتى تكتب متصلة هكذا (لكيلا) فيذكر مواضعها، وبالتالي ما عداها تكتب منفصلة هكذا (لكي لا).

قال الناظم :[2].

تصعدون والحج نكحتم ألم يأن لكيلا بالاتصال دال عددهم

ففي هذا النص حدّد النّاظم المواضع التي تكتب فيها متصلة وهي:

١- [الآية:١٥٣] من سورة آل عمران قوله تعالى : ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَابَكُمْ ﴾.

٢- [الآية: ٥] من سورة الحج ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾.

٣- [الآية:٥٠] من سورة الأحزاب ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾.

---

(١) القرآء والقراءات بالمغرب ص ١١.

(٢) الأنصاص والحطية محمد الزياني ص ٢٢٨ نقلا عن: الأنصاص التي قيد بها حفاظ رواية ورش الرسم العثماني ،محمد الزياني – عبدالمطلب الهاشمي – بحث لنيل الإجازة بإشراف د التهامي الراجي ص ٧٧.

٤- [الآية:٢٣] من سورة الحديد ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾.

وقال في عكس ذلك بالانفصال:

فصل لكي لا قُطِّعت في النحل وأول الأحزاب ثم الحشر

٢- مثال آخر على رسم كلمة (رحمت) متى تكتب بالتاء المفتوحة ومتى تكتب بالمربوطة.

قال الناظم :[1].

في واذكروا مع صرفت يا صالح رتلا أفحسب فأقم جئتكم وقل معا

رحمت بطلق التاء هاك فسبعة لا إله إلا الله محمد رسول الله

فقد حدد الناظم في هذا النص المواضع التي تكتب فيها (رحمت) بالتاء المفتوحة – والتي يسميها المغاربة المبسوطة - وهي:

١- الموضع المشار إليه بقوله : (واذكروا) وهو [الآية : ٢١٨] في سورة البقرة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

٢- الموضع الثاني المشار إليه بـ (صرفت) وهو [الآية: ٥٦] في سورة الأعراف ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

٣- الموضع الثالث المشار إليه بـ (يا صالح) [الآية:٧٣] من سورة هود ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾.

٤- الموضع الرابع المشار إليه بـ (أفحسب) [الآية:٢-٣] من سورة مريم ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾.

---

(١) الأنصاص والحطية محمد الزياني ص ٢٣٠ نقلا عن: الأنصاص التي قيد بها حفاظ رواية ورش الرسم العثماني – محمد الزياني – عبد المطلب الهاشمي- بحث لنيل الإجازة بإشراف د التهامي الراجي ص ١٠٢.

٥- الموضع الخامس: المشار إليه بـ (فأقم) [الآية:٥٠] من سورة الروم : ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ ﴾ .

٦- الموضع السادس والسابع :المشار إليه بـ « جئتكم وقل معا » [الآية:٣٢] من سورة الزخرف ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢ ﴾ .

وجمعها ناظم آخر بقوله:

ورحمةُ البكر وهود والأعراف مريم والروم معا في الزخرف

الميزة الرابعة :ضبط الوقوف :

تعتني المدرسة المغربية -ممثلة في الكتاتيب - بإتقان حفَّاظها لعلوم ترتبط بكتاب الله ومن أهمها علم الوقف، وهو علم له أهميته في فهم كتاب الله، وطالب الكتاتيب يتقن الوقف على نظام الوقف المعتمد في المغرب وهو وقف الإمام الهبطي (المتوفى سنة ٩٣٠هـ).

والوقف يرجع الاختلاف فيه إلى مذهبين، أحدهما: اعتماد كلمات هي رؤوس الآي، والثاني : مراعاة كلمات تتم المعنى والإعراب، أو الإعراب دون المعنى، أو المعنى دون الإعراب.

ولقد بنى الهبطي وقفه على المذهب الثاني، فهو يراعي الإعراب والمعنى في الوقف والابتداء .

ولقد وصف سعيد أعراب جهود الهبطي في مقال له بعنوان: أبو عبدالله الهبطي واضع وقف المغرب[1] فكشف فيه جوانب من حياة الهبطي، ووصف جهوده بأنها

(١) مجلة دعوة الحق وقد نشر ذلك في ثلاث حلقات، والكلام المذكور هنا في ص ٩١-٩٣ العدد من السنة الحادية عشرة ذو القعدة ١٣٧٨هـ- فبراير١٩٦٨م

مبنية على مقاييس محدودة وقوانين مضبوطة وقواعد مدروسة ترجع في جملتها الى الإعراب والمعنى، وربما كان بعضها خاضعا لفن العربية، وبعضها لفن التفسير ...، ثم تعرض لأسباب انتشار مذهبه في الوقف داخل المغرب وخارجه ويمكن تقسيم وقف الهبطي لثلاثة أقسام :

القسم الأول : قسم وافق الهبطي فيه غيره، كالداني وابن الأنباري وسواهما وهو أكثر وقْفِه.

القسم الثاني : قسم تركه ولم يعتمده لتجاذب الدليلين فيه أو لترجيح أدلة الوصل عنده أو لأنه الأصل، والوقف طارئ.

القسم الثالث: قسم انفرد به، ولم يوافق أحدا ممن سبقه والناس في هذا فريقان، فريق مؤيد، وفريق منتقد ...[1].

والوقف عنده فيما يبدو على ثمان مراتب : تام، وأتم، وحسن، وأحسن، وكاف وأكفى، وجائز ومقبول.

وإنما عرف العلماء هذه المراتب عنده بالتتبع والاستقراء، وأما من الناحية العملية فإنه يضع علامة واحدة للوقف، وهي رمز (صه) الدالة على طلب الوقف، ويلتزم القارئ بالوقف عند هذا الرمز في جميع المراتب المذكورة، وهدفه من ذلك أمران:

١- التيسير على المتعلمين الذين لا يميزون بين مراتب الوقف.

٢- المساعدة على توحيد التلاوة بصوت واحد في حال تعدد القراء عند قراءة (الأسوار) في مراجعة الحفظ أو عند الاشتراك في العرض على الشيخ (المدرر) لربح

(١) مجلة دعوة الحق ص (١٠٤-١٠٦) العدد الثامن من السنة الحادية عشرة (ربيع الأول والثاني ١٣٨٨هـ - يونيو -ويوليوز ١٩٨٦م) ووقف الامام الهبطي تباينت منه مواقف علماء المغرب ،فمن مادح له كسعيد اعراب ، ومن واقف منه موقفا موضوعيا وعلميا وهم أغلب العلماء الذين كانوا ينتقدونه مستندين في ذلك الى بعض الوقوف التي أثارت الجدل، وهناك موقف ثالث منتقد له بصفة مبالغ فيها كموقف ابن الصديق، والحسن وكاك.

الوقت، أو عند قراءة (الحزب الراتب) الذي جرت عادة المغاربة بالمداومة عليه في المساجد كلها بعد صلاتي الصبح والمغرب منذ القرن السادس الهجري إلى اليوم.

الفصل الثالث

المعالم التربوية في تحفيظ القران في الكتاتيب والمعاهد

المبحث الأول : النظرية الإسلامية التربوية في التعليم المنهج

ترتبط النظرية الإسلامية التربوية في تعليم القرآن المنهج عبر الكتّاب بعدة مقومات تربوية، من أهمها :

أولا : نشوء ما يسمى بأحكام وآداب الكتّاب :

وذلك لوضع أسس علمية لهذه الحاضنة التعليمة التربوية، فقد عنى العلماء بوضع أسس علمية لمكونات الكُتاب وأركانه، تتناول هذه الأسس التعليمية والتربوية لتوفير بيئة علمية محفزة للتعلم والإبداع والإنتاجية، تشمل الآداب والأحكام الفقهية المتعلقة بأركان العملية التعليمية، وهم:

- الفقيه المحفظ (المدرر).
- الطالب.
- أولياء الطلاب وذووهم.
- ذات الكتاب.
- السلوكيات التعلمية والتعليمة.

ألفت في وضع آداب وأحكام الكتّاب القرآني كتب تناولت تفاصيل دقيقة لا نجد لها مثيلا في النظريات الغربية في وقتها، مما يؤكد أهمية تتبع هذه الكتابات للخروج بالنظرية الإسلامية التربوية والتعليمة التي تؤسس لبناء إنسان متعلم، يقدّر العلم ويحفل بـه .

ويعدّ الكتّاب المغربي متميزا في هذا الشأن على الكتّاب المشرقي، إذ تزخر المكتبة المغربية بمجموعة من المؤلفات تعنى بهذا الجانب وتتناوله بكل دقة وعناية، ومن أهم هذه الكتب :

١- رسالة آداب المعلمين، لسحنون.[١]

هذه الرسالة لقاضي القيروان وأفريقية (ت :٢٤٠هـ) أملاها على ابنه محمد، وعنه اشتهرت، ولذلك تنسب إليه باعتباره المدون لها.

يقول د. عبد الهادي حميتو: وربما كان هو صاحب الفكرة في إملائها[٢].

٢- الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المتعلمين لأبي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي فقيه القيروان (ت :٤٠٣)[٣].

٣- المدخل لأبي عبد الله المعروف بابن الحاج العبدري (ت: ٧٣٧هـ).

وقد تحدث في كتابه عن الكتاتيب القرآنية في ستة فصول.

٤- الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة لأبي علي حسين بن علي بن طلحة الشوشاوي (ت: ٨٩٩هـ) .

وقد تحدث في كتابه عن بعض الأحكام المتعلقة بالكتاتيب تحت عنوان آداب القرآن.

٥- جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان لأبي العباس أحمد بن شقرون المغراوي (ت: ٩٢٩هـ).

وميزة هذا الكتاب كما يذكر د/ عبد الهادي حميتو أن فيه نقولا عن كتب أخرى تعتبر اليوم مفقودة كالحلل للزناتي وغيره[٤]

إضافة إلى بعض كتب النوازل كالمعيار للونشريسي – كما ذكر د/ الحسين بن أحمد مفراح-[٥].

---

(١) هذه الرسالة مطبوعة ضمن كتاب التربية الإسلامية بتحقيق د:أحمد فؤاد الأهواني.

(٢) حياة الكتّاب وأدبيات المحضرة ١/ ٣٠١.

(٣) هذه الرسالة مطبوعة ضمن كتاب التربية الإسلامية بتحقيق د:أحمد فؤاد الأهواني..

(٤) حياة الكتاب وأدبيات المحضرة ١/ ٣٦٣.

(٥) في بحثه :الكتاتيب القرآنية في المغرب بين الأحكام الفقهية والممارسة العملية والآفاق المنشودة ص ٢٤- ٢٥.

ثانيا : الحث على التعلم :

تعتمد النظرية الإسلامية في التعلم على الحث عليه بورود نصوص من القرآن والسنة، تدعو للتعلم والتعليم، وتجعل ذلك من أفضل القربات وأزكاها، وهذا يشهد له أن أول ما نزل من دستور الأمة المسلمة هو كلمة (اقرأ).

وقد جاءت في كتاب الله آيات تحث على تعلمه من مثل الآية التي يسميها مطرف بن عبدالله آية القراء وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [غافر: ٢٩- ٣٠].

ومن أعظم الأحاديث الحديث الذي حكم بالخيرية لمن يتولى تعليم كتاب الله مما دفع أبا عبد الرحمن السلمي أن يمكث أربعين سنة يعلم القرآن في المسجد الجامع بالكوفة وهو يقول عن حديث «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » هذا الذي أقعدني مقعدي هذا » [(١)] .

ثالثا : فرضية التعلم :

النظرية الإسلامية تعتمد على إرث علمي يرى وجوب التعلم، ويفرض على أتباعه أن يعلموا أولادهم القراءة والكتابة، وأن هذا حق للأبناء على آبائهم، وأنه لا يفرط في ذلك «إلا والد جاف، لا رغبة له في الخير»[(٢)].

وقد تبعه على ذلك تلميذه الإمام أبو عمران الفاسي فدعا إلى إجبارية التعليم في الكتاب كما قدمنا.

بل يرى أن يعاقب ولي أمره إن لم يستجب، وقد نقل الشوشاوي أن القابسي قال: «وينكل بمن امتنع من تسليم ولده إلى المكتب، «فان استطاع دفع الأجرة

(١) النشر في القراءات العشر ١ / ٣.

(٢) الرسالة المفصلة للقابسي ص ١٢٨.

يدفع لزاما »ويجبر على ما ينوبه من أجرة المعلم ».

بل ويذهب في ذلك مذهبا شديدا إذ يقول: «ومن أبى طرد ونفي إن قدر عليه لهدمه ركنا من أركان الدين ،ولا تجوز شهادته ويؤدب أدبا وجيعاً » [1].

ويناقش الفقهاء الذين كتبوا في أدبيات الكتاتيب هذا الموضوع بكامل فرضياته وأحواله ويجيبون حتى فيما لم يكن الولي يستطيع دفع أجرة الكتّاب فان ولي أمر المسلمين (الحاكم) يتولى ذلك[2].

رابعا : التدرج في التعليم :

وقد سبق الحديث عن هذا كأساس علمي من أسس تعليم القرآن في الكتّاب المغربي.

وهنا يجدر الحديث عنه كمقوم من مقومات النظرية الإسلامية في التعليم، إذ أن التعليم الإسلامي يقوم على التدرج في إعطاء المعلومات، كماً وكيفاً.

ويظهر هذا جليا في تقسيم السورة إلى مقاطع وتوزيعها في الألواح، فيساعد ذلك الطالب على الحفظ، ويحس الطالب كلما حفظ مقطعا قد كتبه في لوحه أنه أنجز، وهذا يحقق هدفين تعليميين هما: تجزئة المنهج، وحفز المتعلم حينما يحس بالإنجاز ودفعه للمواصلة في التعلم.

خامسا : مراعاة الفروق الفردية :

من مزايا التعليم الإسلامي في الكتاتيب مراعاة الفروق الفردية، وهذا من الأسس التي عني بها معلمو الكتاتيب، وهو أمر له أهميته في استيعاب الطلاب للمقدار المطلوب حفظه، ويتضح هذا من جهتين:

أولا: تقسيم المتعلمين الى طبقات ثلاث: مبتدئون، ومتوسطون، وماهرون وقد سبق تفصيل ذلك أثناء الحديث عن مراحل الكتّاب.

---

(١) الفوائد الجميلة للشوشاوي ص ١٩١-١٩٢ (وهي غير موجودة في الرسالة المفصلة للقابسي).

(٢) ينظر الرسالة المفصلة للقابسي ص ١٢٩.

«وتتم عملية الكتابة حسب درجات المتعلمين وأعمارهم .. »[١]

ثانيا : إعطاء كل طالب مقداراً من القرآن الربع أو الثمن – حسب قدرته على الحفظ – فمعلمو الكتاتيب لا يجعلون طلابهم كلهم في درجة واحدة.

ويعد هذا الأمر من تميّز الكتاتيب القرآنية الذي سبقت به المدارس الحديثة.

«المدرسة القرآنية تحتوي على عدة مستويات متفاوتة في حجرة واحدة، الشيء الذي فشلت فيه المدرسة الحديثة على مستوى المدينة، فالمتعلمون في المدرسة القرآنية في حجرة واحدة، يتفاوتون أعماراً وذكاء، واستيعاباً وحفظاً، فنجد مجموعة في مرحلة التهجي وأخرى في مرحلة التعليم بالمحاكاة وأخرى بدأت تعتمد على نفسها وأخرى تجاوزت مرحلة الإملاء والاستماع، والكل في نظام محكم بديع، والمعلم على بصيرة من كل واحد، يسمع لهم قراءة الألواح يومياً، وقراءة الأسوار بالتناوب والمسيرة تتحرك »[٢].

ومراعاة هذا الأمر يجعل الفقيه يدفع في اتجاه تميّز أصحاب القدرات العالية «وللفقيه المعلم الحق في أن ينتقل بالتلميذ من مرحلة إلى أخرى حسبما يراه من استعدادات فكرية وحفظية، فلا ينتظر انتهاء السنة الدراسية لينقل الطفل من مستوى لآخر، فالتلميذ الذي يحفظ ما يُكتب له بسرعة ينتقل يوميا من مستوى لآخر حيث لا ينتظر المتعثرين الذين ليست لهم استعدادت فطرية للحفظ والاستيعاب .. »[٣]

سادسا : العناية بالوسائل التعليمية :

يعد موضوع وسائل التعلم من أولويات التربويين اليوم، وكلما كان المعلم قادرا

(١) دور الكتّاب القرآني – محمد حافظ ص ٦٥.

(٢) الأنصاص القرآنية ١/ ٢٣.

(٣) الأنصاص القرآنية ١/ ٢٣.

على استعمال الوسائل التعليمة كان أقدر على إيصال علمه للمتعلمين، إضافة لما تمثله من تشويق وجذب.

والكتاتيب تعتمد اعتماداً قوياً على استخدام الوسائل التعليمية المتمثلة في الألواح لتعلم مهارة الكتابة والخط ،وحفظ القرآن برسمه المعتمد في كتابته. وتعد المدرسة المغاربية عموما من أميز ميزاتها في حفظ القرآن – كما سبق الحديث عنه في التكتيب – استعمال اللوح كوسيلة تعليمية لها دورها الفعّال في تعلم القرآن وعلومه المرتبطة بحفظه من علوم الرسم والضبط والوقف.

المبحث الثاني : الأثر التربوي

إن المتأمل في الكتاتيب القرآنية يرى أنها تحمل في نظامها التعليمي المرتبط بعدة مكوناتٍ ما يشهد لها بأثرها التربوي والإيماني، وذلك في ارتباط التعليم بالمسجد أو المسيد وهو المكان الذي بجانب المسجد، ومن ارتباط التعلم بمؤدب ومعلم له مواصفاته، ومن إقامة لها أثرها في التربية الإيمانية والاجتماعية. وهذا عرض لبعض هذه الآثار:

أولا : غرس احترام القرآن وتعظيمه في نفوس الطلبة :

إن تعويد الناشئة منذ الصغر على تعظيم القرآن له أثره في تعظيم أحكامه وحدوده وأوامره ونواهيه، ومن السبل التي تميزت بها الكتاتيب :

تعظيم الماء الذي يمحى به اللوح :

فمن المتبع في محو الألواح التي كتب فيها القرآن في الكتاتيب ما يلي:

أولا : أن الماء الذي يمحى به ماء نقي طاهر.

ثانيا : أن هذا الماء يلقى في إناء خاص، حفظا للقرآن من رميه في مكان لا يليق أو قد يتعرض للإهانة، ومن ثم يصب في حفرة ترابية. وقد وقفت بنفسي على هذه العملية في زيارتي لكتاب مدرسة زاوية سيدي الراضي العتيقة –وسيأتي التعريف بها–.

ثانيا : الارتباط في التعليم بمعلم ومؤدب وهو (المُدرر أو الفقيه) :

يعدّ الكتّاب القرآني المدرسة الأولى بعد الأسرة، وله أثره الأساسي في صياغة شخصية الطفل وتشكيل وجدانه ومواهبه العقلية والعلمية والفكرية.

والكتاتيب توثق ارتباط الطلاب بمعلمهم ليس في الجانب العلمي فحسب، بل الأثر التربوي في السلوك أعظم، لأنهم يعدونه قدوة، ويمثل لهم قامة عالية يتسابقون للتأسي بها، ويأخذون عنه أخلاقه ويتأثرون به أيما تأثر.

والطالب في الكتاب يلتصق بأستاذه كثيرا طيلة يومه، ولا يكاد يفصله عنه الا

أوقات الأكل أو النوم. وهذا الارتباط له أثره في تنشئة الطالب، وتعويده على أصول هذا الدين كالصلاة، وله أثره في تقويم سلوك الطالب وتركيز الأخلاق الفاضلة وتجذيرها في حياته، ويكون تحت ملاحظة مؤدبه ومعلمه.

ولقد كان هذا المعلم بما يحمله من مؤهلات علمية ودينية – وخاصة في الماضي– ذا أثر فعّال في إخراج أجيال مؤمنة مرتبطة بربها، حافظت على دينها وعلومها حتى في أشد الحالات التي مرَّ بها المغرب أوقات الاستعمار.

«لقد شهد تاريخ الكتّاب القرآني فترات ازدهار في التاريخ الإسلامي والمغربي – بالخصوص– ، تولى أمره في أحيان كثيرة كبار الفقهاء وأهل الدراية بضبط الكتاب العزيز، العارفون بالمنهاج التربوي الإسلامي في تعليم القرآن الكريم، كما أن وجود الكتّاب بجانب المسجد وارتباطه بالمجتمع كان عاملا آخر في أداء رسالة الكتّاب كاملة في الأمة إذ تخرج منه كبار العلماء وجهابذة الفكر والسياسة الذين قادوا الأمة وسعدت بهم الشعوب »[1].

(١) نحو تجديد مناهج تدريس القرآن بالكتاتيب – العربي بوسلهام ص ٢٨٤.

المبحث الثالث : التربية الإيمانية والأبعاد الاجتماعية والنفسية في الإقامة الدراسية، من خلال وظيفة الكتاب القرآني وآفاقه الربانية

ونعني بالإقامة الدراسية ما يعم الظرف الزماني وهو عبارة عن المدة التي يقضيها المتعلم في الكتاب وهو يتابع عملية الحفظ والتحصيل لكتاب الله، ويتلقن العلوم المرتبطة بتوثيق معارفه فيه، والفقه في المتون المساعدة على ترسيخ تلك المعارف في النفس، واكتساب الملكة العلمية التي يتجلى فيها وينعكس مقدار استيعابه للفن وفهمه لقواعده وضبطه لمسائله وقضاياه.

كما نعني بالإقامة الدراسية أيضا ما يعم الظرف المكاني، ونعني به الفضاء التعليمي الذي يحتضنه أثناء مدة تعلمه، ويشمل المؤسسة التعليمية في الكتاب أو (المسيد) أو(المَعْمَرة) أو(الحِضَار) أو(المُحْضرة) أو(الجامع) أو(المكتب) أو غير ذلك مما يطلق على تلك المؤسسة بحسب الجهات والحواضر في الدول المغاربية، ولا سيّما في المغرب الأقصى الذي ما يزال بالقياس إلى دول المغرب الأخرى كالجزائر وتونس وموريتانيا وليبيا يعتبر في الطليعة في عدد الكتاتيب ووفرة المتعلمين فيها والعناية الشعبية والرسمية بها وكثرة الحفاظ للقرآن في الحواضر والبوادي على السواء.

الجهات المشهورة بالكتاتيب في المغرب :

ونظرا لاقتصار المغاربة في القرون الأولى على تعلم القرآن الكريم، وجعلهم له أصل التعليم، وعليه ينبني ما يحصل من الملكات - كما تقدم لنا في قول ابن خلدون- وبناء على ما أفتى به علماؤهم وأخذ به عامتهم من إجبارية التعليم في الكُتاب واعتباره حقا مستحقا للولد على أبيه، وما درج عليه المتعاقبون على الحكم في الدول التي حكمت المغرب من زمن الفتح الإسلامي من اعتماد الكتاتيب وسيلة تكاد تكون الوحيدة في التعليم، والعمل على تزويد الحواضر بـ(المسايد)

و(الكتاتيب) في كل [(حومة)و(درب)][1] وإلزام القبائل في البوادي باتخاذ (الجوامع) و(الإحضارات) ومشارطة المعلمين (المدررين) فيها للقيام بتعليم الصبيان وتحفيظهم القرآن، وإدخال صبيانهم إليها وقيامهم بأمر المعلم (المدرر) ومؤنته وأجرته، فقد استقرت هذه الأعراف إلى اليوم، وأمست داخلة في النظام الاجتماعي العام، وأمسى وجود (مدرر الجماعة) أو(فقيه المسجد) أو(طالب القبيلة) جزءا لا يتجزأ من المنظومة الاجتماعية الحضرية والقبلية، بل هو رأسها ورئيسها. ولا سيّما في البوادي النائية عن الحضر حيث تشتد الحاجة إليه.

وقد شاع بين طلبة القرآن الذين يشدون الرحال في المغرب إلى الجهات في طلب الحذق في علوم القرآن، تداول الرمز بحروف (**مسجد**) في الدلالة على أهم الجهات الأربع التي تنتشر فيها مؤسسات الإقراء، وتشتهر بوفرة ومهارة القراء فيها وخاصة في علم الرسم والضبط.

ويعنون برمز (الميم) (مَسْفيوَة)، وهي قبيلة مجاورة لمدينة مراكش قد اشتهرت من قديم منذ أيام الدولة اللمتونية المرابطية في القرن الهجري الخامس بكثرة حفاظ القرآن فيها برواياته وإتقان علومه ومتونه وحفظه.

وأما حرف السين فيرمزون به إلى (سوس) وهي قبائل كثيرة، وتمتد في جنوب المغرب مما يلي مراكش إلى أقصى الصحراء المغربية وموريتانيا.

وأما حرف الجيم فيشير إلى (جِبالَة) وهي مجموعة من القبائل في شمال المغرب تمتد من مدينة فاس إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط مما يشمل قبائل الريف إلى مدينة طنجة وأصيلا وقبائل غمارة.

وأما الدال فيرمز إلى (دكالة) وهي مجموعة قبائل إلى الغرب من مراكش وتمتد

(١) الحومة والدرب في مقابل الحي السكني الصغير اليوم.

على الساحل الأطلسي من وادي أم الربيع إلى قبيلة (حاحة) في الجنوب و(الشياظمة) وعَبْدة[١].

ومصداق ما قاله صاحب الرمز عن قبائل سوس ما نجده في الكتابات التي صدرت عن طائفة من خريجي هذه الكتاتيب من علماء سوس المذكورة.

فها هو مؤرخ هذه الجهة من بلاد المغرب يقول في كتابه (سوس العالمة) واصفا لما عليه الحال في جهته في القرن الماضي:

«قلما تجد قرية في غالب نواحي سوس إلا وكان ربع سكانها أو ما يقارب خمسهم من حفظة القرآن، أما التي فيها الخمس فمن الندور »[٢].

ويقول أحد أبناء هذه الجهة في بحث له عن الحركة العلمية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر في جنوب المغرب بمدينة تارودانت السوسية :

«يرتبط التعليم في المدينة بالمساجد والكتاتيب والزوايا والرباطات، إلى جانب المدارس، ولا تكاد تخلو حارة مهما بلغت من الصغر من (كُتاب) تكون جوانبه غاصة بالصغار، وهم منهمكون في حفظ القرآن ومبادئ العلوم[٣] ويبلغ التنافس أشده بين الكتاتيب في جودة الحفظ والحِذْق وكثرة المتخرجين »[٤].

ويقول أحد كبار المدررين الممارسين للتعليم بسوس، وهو اليوم شيخ طاعن في السن كما ذكر لي الشيخ عبد الهادي حميتو – مدَّ الله في عمره في عافية وأدام النفع به

(١) هذا الرمز وتفسيره مما استفدته شفويا من الدكتور عبد الهادي حميتو في زيارتي للمغرب وقد وقفت بنفسي على حقيقة ذلك بزيارتي لعدد من الكتاتيب في دكالة وسوس وشمال المغرب بطنجة.

(٢) سوس العالمة لمحمد المختار السوسي: ص ٣٢.

(٣) كثيرا ما يجمع المدررون في سوس بين تحفيظ القرآن وتحفيظ بعض النصوص التي تسهل قواعد الرسم والضبط وخاصة (الحذفيات) و(الظاءات) و(التاءات) وبعض مبادئ الفقه كمنظومة ابن عاشر (المرشد المعين على الضروري من علوم الدين).

(٤) الحركة العلمية في الجامع الكبير بمدينة تارودانت للأستاذ مصطفى المصلوتي: مجلة كلية الشريعة: العدد الأول ص ١٤٣.

– وذلك في كتابه المسمى (المدرسة الأولى) وهو يعني بها (الكتاب) الخاص بالتعليم القرآني تحت عنوان:

(الطالب والمهام التي تناط به) ويعني بالطالب: (المدرر) أو المعلم.

«يتعاهد أهل كل قرية مسجدهم بما هو في حاجة إليه، وأول ذلك أن يقيموا فيه من يختارونه فهما ودينا وهمة، للصلاة بهم جماعة، ولقراءة الوثائق، ولكتب الرسائل وللاسترقاء – لحسن ظنهم بمن شارطوه، ولا سيّما العجائز، ولتعليم أولادهم الصغار، على وظيفة[1] يأخذها مقابل ذلك.

ولا يقتصر (الطالب) على تعليمهم القرآن فقط، بل يعلمهم معه آداب الدين، كصفات الله ورسله وجميع ما يجب اعتقاده على المكلف مما جاءت به الآيات والأحاديث، من أن لله كتبا منزلة، وأن له رسلا إلى الأمم، وله ملائكة لا يعصون الله، ومن وجود الجن الشياطين.

ويعلمهم ما يأتي بعد الموت إلى الاستقرار الأبدي، ختم الله لنا بالحسنى، ورزقنا الحسنى وزيادة.

كما يعلمهم كيفية الوضوء والأذان والإقامة، والصلاة وأوقاتها، ويحفظهم القنوت[2] والتشهد[3]، ودعاء صلاة الجنازة، ونحو ذلك كمتن ابن عاشر في الفقه والبردة والهمزية في المديح» [4].

ويعلمهم أيضا قواعد الإسلام وعددها، فيوجه إليهم بصوت عال بعد عصر الأربعاء أو صبيحة الخميس الأسئلة التالية :

---

(١) يعني: الأجرة التي يتم الاتفاق عليها، وغالبا ما تكون من المحاصيل الزراعية.

(٢) يعني الدعاء الذي يدعى به قبل الركوع في الركعة الثانية من صلاة الصبح حسب ما عليه المالكية في المغرب، وهو عندهم من مستحبات الصلاة.

(٣) يعني في الصلاة.

(٤) يعني: قصيدتي الشيخ شرف الدين البوصيري في المديح والسيرة النبوية.

- على كم قاعدة بني الإسلام؟ ماهي...؟ ...إلخ.

كما يلقنهم حكاية الأذان، وطلب الوسيلة بعده من الله تعالى لنبيه الأكرم ﷺ، وأن يبعثه مقاماً محموداً كما ورد في صحيح الأحاديث، ويحثهم على الدعاء بعد ذلك لأنفسهم ووالديهم ومشايخهم[1].

وهكذا تحولت وظيفة الكتاتيب في المغرب إلى رسالة تربوية، ولم تقف عند كونها مؤسسة تعليمية بحتة، وبهذا تأتّى لها أن تتغلغل في وجدان سكان المغرب، وتعم الوطن كله بادية وحاضرة من أقصاه إلى أقصاه، وبذلك استطاعت أن تحتل مكاناً بارزاً في منهاج التعليم الأولي في المغرب، وأن تهيمن على الساحة بوصفها مؤسسات تربوية شعبية متجذرة في التاريخ المغربي، ومشكلة للتعليم العمومي الذي يبذل للجميع بالمجان أو على الأكثر، بتكاليف زهيدة ويسيرة.

الرحلة التعليمية :

وينبغي هنا أن نلفت النظر إلى ظاهرة أخرى يتميز بها (الكتّاب المغربي) في الجهات التي أشرت إليها في (مسفيوة) وما حولها من القبائل، وفي سائر قبائل سوس، وأحواز مراكش ودكالة، وقبائل جبالة والريف، وهي ظاهرة الرحلة المبكرة بالولدان المتعلمين من البلدان التي ولدوا فيها أو على الأقل من الكتاتيب التي ولجوها أول مرة، لاستكمال حفظ القرآن وحفظ المتون المساعدة والمكملة على مشايخ جدد ممن ذاعت شهرتهم، أو في كتاتيب مشهود لها بالمهارة والحذق في التلقين، أو تتوافر فيها أسباب العيش، وتمكّن الطفل من الانقطاع عن أبويه لمدة طويلة قد تبلغ العام أو أكثر، ليتفرغ للتحصيل ويطلق على هذه الفئة عادة اسم (المسافرية) وعلى واحدهم (المسافري) وهو: من يقيم بالكتاب إقامة دائمة متفرغاً،

(١) المدرسة الأولى: وصف شامل للتعليم الأولي بالمدرسة القرآنية في سوس للفقيه صالح بن عبد الله الإلغي: ص١٩-٢٢.

ولا يكاد يذهب إلى منزل أهله إلا في (العواشر) وهي عطل ترتبط بالأعياد الدينية يتوقف فيها (التدرير) أسبوعا أو عشرة أيام في الغالب في جميع البلاد.

وفي هذا النوع من التعليم في الكتاتيب وهو الغالب في سائر قبائل المغرب تتحقق جملة من المزايا والأهداف التربوية من أهمها:

١- تربية الطفل على الاستقلال عن أهله في تسيير حياته.

٢- تربيته على الاعتماد على النفس في تدبير عيشه فيتعلم في الكتاب كيف يطبخ غذاءه، ويدبر فراشه وغطاءه، ويغسل ثيابه بنفسه.

٣- تربيته على روح الجماعة والاندماج فيها، سواء داخل الحجرة أوفي (أَخَرْبيش)[١] الذي يجتمع فيه الأطفال أثناء الدراسة، أو في أثناء الاجتماع في حلقات مراجعة (الأسوار) أي : السور التي حفظها بتكرارها بصورة دائمة حتى تزداد رسوخا في ذاكرته، أو في خلال (الحزب الراتب) في أول الصباح وبعد المغرب، ويقرأ فيه جزء من القرآن يتكون من حزبين بكيفية جماعية في جميع المساجد بطول الزمن، وهو تقليد جار في المغرب من أول القرن السادس الهجري كان قد رتبه داعية الدولة الموحدية محمد بن تومرت السوسي عندما عاد من رحلته إلى المشرق فثار على دولة المرابطين بمراكش، فجعل قراءة الحزب الراتب اليومي شعار دولته، وبقي بعد ذلك في الدول المتعاقبة على الحكم لما له من قيمة تعليمية تساعد على تداول القرآن وتدارس المتعلمين له خيفة النسيان، فرتبت له مراسيم مرتبطة به، ووقفت عليه أوقاف يصرف ريعها على القائمين به وإلى اليوم، ويختم فيه القرآن مرة كل شهر[٢].

---

(١) انظر كتاب المدرسة الأولى: ص١٥.

(٢) الكتاتيب القرآنية:٢/ ٣١-٣٣.

٤- القفز على المراحل أو تداخلها ،وأعني به: أن الطفل وهو في بداية التلقي والأخذ يجد نفسه داخل وسط متشعب المستويات – وقد رأيت ذلك أثناء زيارتي للكتاتيب - حيث تضم قاعة التعليم أو (المسيد) مجموعة صغيرة أو كبيرة من المتفاوتين في السن والمستوى التعليمي وفي نوع المكتوب في ألواحهم من القرآن ومقداره، وهو يحتك بهم ويمتزج يوميا فيتعرف بسبب ذلك على كثير من القرآن وما يرتبط به قبل أن يصل إليه بلوحه، ويسمع من (الأنصاص) ويرى من القواعد المدونة في الألواح والرموز الدالة عليها ما ليس في لوحه منها، وهكذا يتاح له أن يحصل على قدر إضافي من ثقافة (الكتاب) عن طريق الملاحظة والتحصيل التلقائي والعفوي بسبب هذا التواصل في عين المكان.

٥- إثارة الحوافز، وهو أمر طبيعي ينشأ عن طريق التنافس بين ذوي الأسنان المتقاربة ،منشؤه الشعور بالذات، والرغبة في التفوق على الآخرين .

ولقد أثنى بعض الباحثين على منهجية الكتاب المغربي في الجمع بين أكثر من مستوى من الأطفال في حجرة الدرس، ونبه على مزية ذلك فقال:

«يحتوي الكتاب على عدة مستويات متفاوتة في حجرة واحدة، الشيء الذي فشلت فيه المدرسة الحديثة على مستوى المدينة. فالمتعلمون في المدرسة القرآنية في حجرة واحدة، يتفاوتون أعماراً وذكاء واستيعاباً وحفظاً، فنجد مجموعة في مرحلة التّهجي، وأخرى في مرحلة التعليم بالمحاكاة، وأخرى بدأت تعتمد على نفسها، وأخرى تجاوزت مرحلة الإملاء والاستملاء، والكل في نظام محكم بديع، والمعلم على بصيرة بكل واحد، يسمع لهم قراءة الألواح يوميا، وقراءة الأسوار بالتناوب والمسيرة تتحرك.

وللفقيه (المدرر) الحق في أن ينتقل التلميذ من مرحلة إلى أخرى حسبما يراه من استعدادات فكرية وحفظية، فلا ينتظر انتهاء السنة الدراسية لينقل الطفل من

مستوى لآخر، فالتلميذ الذي يحفظ ما يكتب له بسرعة ينتقل يوميا من مستوى لآخر، حيث لا ينتظر المتعثرين الذين ليست لهم استعدادات فطرية للحفظ والاستيعاب» [1].

يقول الدكتور حميتو تعليقا على هذا النمط المغربي في تكوين قاعة الدرس: «وهكذا يتمكن (الكتاب) وتتمكن (المحضرة) من خلق الحوافز وبعث الحيوية في مواهب الناشئة بصورة لا يتأتى مثلها في المدرسة العصرية الحديثة، إذ أن من شأن هذا التنوع والتمازج بين مستويات التعليم أن يجعل الطفل المتعلم أوسع أفقا ودراية وأوسع طموحا، لتعرفه على ما ينتظره من مستويات في المحضرة التقليدية، فنحن أثناء تعلمنا قد عرفنا الكثير ونحن صغار عن القراءات السبع ورواياتها و(الكراريس) – أي : المتون- القرائية، وذلك بسبب رؤيتنا لألواح الطلبة وسماعنا منهم أثناء وجودنا معهم في محضرة واحدة لعدد من السنين.

يضاف إلى ذلك نوع من الفضول ينشأ عند الأطفال وينمو معهم، فهم إلى ما يشتغل به من هو فوقهم أطمح، وإليه أكثر تطلعاً وحنيناً، لا سيما إذا كان هناك تقارب في السن، وانفتاح في العلاقات وعلو في همة المتعلم، وقديما التفت إلى هذا الرئيس ابن سينا – الطبيب والفيلسوف المشهور – وعلل له بقوله :

«لأن الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخَذ، وبه آنَس، ووجود الصبي مع غيره من الصبيان أدعى إلى التعلم والتخرج، فإنه يباهي الصبيان مرة، ويغبطهم مرة، ويأنف عن القصور عن شأوهم مرة، ثم إنهم يترافقون ويتقارضون الزيارة، ويتكارمون ويتعاوضون الحقوق، وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم، وتمرين لعاداتهم» [2].

---

(١) كتاب الأنصاص القرآنية: ١/ ٢٣.

(٢) حياة الكتاب وأدبيات المحضرة للدكتور عبد الهادي حميتو: ٢/ ٥٨٣-٥٨٤.

وهكذا تتكون في الكتاتيب القرآنية اللبنات الصالحة التي من شأنها الإسهام في تكوين المجتمع المسلم الصالح، وبناء مؤسساته على تقوى من الله ورضوان، وتربية أبنائه على قيم الفضيلة وروح القرآن وأخلاقه المستمدة من سوره وآياته حتى يتحول التدبر لها وحسن تلاوتها إلى ملكة في النفس يتربى فيها حب الخير، والقيام بحق الله في الأعمال والفرائض والسنن، والتخلق بأخلاق الإسلام وقيم الإيمان التي تدعو إلى الإيثار والإحسان، والصدق في المعاملة، وبذل المعروف للخلق، وبسط الوجه، والتحلي بالسماحة والعدل، وسعة الصدر، والنأي عن كل مظاهر الانغلاق والقلق التي تؤدي إلى رفض الاندماج والتطرف في الفكر، وكل هذه الفضائل هي في الحقيقة نتاج طبيعي لهذا الأفق الإيماني السمح، ومما يأتي ثمرة لحفظ كتاب الله وتدارسه، والعيش معه بالقلب والقالب في مؤسسات التحفيظ، قياما لله تعالى بتعلمه والتفقه فيه، وتعليمه، والعمل به، والدعوة إليه، وتيسير وصوله إلى الناس كافة.

الفصل الرابع

الزيارات الميدانية للوقوف على التجارب العلمية وتقويمها

وكان لا بد للوقوف على التجارب العلمية في الكتاتيب من خلال الممارسة العملية، من القيام بعدة زيارات ميدانية هادفة لأكثر من جهة ومنطقة من المغرب في شماله وجنوبه ووسطه في جهات طنجة وغرب مدينة مراكش وجنوبها، وهي من أهم الجهات المشهورة بكثرة الكتاتيب فيها، ووفرة حفاظها، وزيادة الحرص على الثقافة الإسلامية المصاحبة لحفظ القرآن فيها، وغنى رصيدها العلمي من المحفوظ من الحطِّيات بمختلف أنواعها، والعناية بتلقينها للولدان والطلاب أثناء التحفيظ في الألواح، أو من خلال حفظ (الكراريس) التعليمية، وهي مجموعات من النصوص (الأنصاص) المنظومة في علم الرسم والضبط وقواعد التجويد والأداء مما يكوّن الثقافة القرائية للعالم والمتعلم والقارئ والمقرئ.

كان الوقوف على كتاتيب متميزة في هذه الجهات من المغرب مما حفزني إلى شدّ الرحال إليها للوقوف في عين المكان على جملة من التقنيات الجارية في التلقين والآليات المستعملة فيه، والتعرف على الحياة في الكتّاب، والتقاليد التعليمية المتبعة فيه، والمراسيم المعتادة التي يخضع لها المتعلم أثناء وجوده في الكتاب، والفئات العمرية التي ترتاد هذه المؤسسات وترحل إليها للإقامة بها أثناء فترة التعلم، والأدبيات المرتبطة بذلك .

وكانت الكتاتيب النموذجية التي خصصتها بالزيارة هي التالية:

أ- في شمال المغرب :

١- كتاب قرية الرُّمَّان بضواحي مدينة طنجة :

ومدينة طنجة مدينة أثرية قديمة تقع في شمال المغرب على رأس البوغاز البحري الذي يفصل ما بين إفريقيا وأوربا حاليا، وبين المغرب والأندلس (إسبانيا) بعد

الفتح الإسلامي. وهي منطقة جبلية يلتقي على ساحلها البحر الأبيض المتوسط (بحر الزقاق) بالمحيط الأطلسي الكبير.

وتقع قرية الرمان على نحو عشرين كيلومترا من مدينة طنجة في منحدر هضبة منعزلة عن العمران نوعا ما، وكان هذا مقصودا في اختيار المكان لإقامة هذا الكتاب فيها لما له من مزية الهدوء والمناخ الصحي الملائم ووفرة الماء والانقطاع عن كل ما من شأنه أن يشوش على المتعلمين من الضوضاء أو الحركة اليومية للمدينة.

ويشتغل بالتدرير والتحفيظ في هذا الكتاب ويسيره شيخ فاضل ذو سمت حسن وشيم نبيلة، هو الشيخ أحمد التوزاني شيخ كتاب قرية الرمان – جماعة ملوسة التابعة لإقليم الفحص – أنجرة بولاية طنجة. ولهذا الكتّاب نشاط تعليمي دائب ذاعت له به شهرة واسعة في هذه الجهة مما جعل الآباء يقصدونه بأبنائهم لحفظ القرآن الكريم والتنشئة التربوية على أخلاقه. ويبذل الشيخ جهداً كبيراً في القيام بعمل التدرير مستعملا الوسائل والآليات المعتادة في المنطقة، كاستعمال الألواح الخشبية للكتابة عليها، وأقلام القصب، ونوع الصمغ البلدي المستخرج من الصوف، واستعمال الصلصال لتلميع الألواح، والاجتماع أثناء التحفيظ في فضاء واحد، وتعدد المستويات في الفصل.

ويبلغ عدد طلاب هذا الكتّاب ٤٨ طالباً ، أغلبهم يسكنون في داخلية الكتّاب ، ويساعد الشيخ التوزاني مدرران .

٢– معهد الإمام مالك العتيق في مدينة طنجة :

ويقع داخل المدينة في بناية فسيحة الجوانب متعددة الطوابق والقاعات والأقسام – وقد ذكر لي الأستاذ هشام عاشوري مدير المعهد أنه مبنى مستأجر وهم على وشك الانتقال لمبنى ملك مصصم كمدرسة –، وفيها إلى جانب تعليم القرآن أقسام موازية للتعليم العتيق تتلقى فيها مبادئ العلوم العربية والإسلامية،

كما يتوفر على تجهيزات حديثة تساعد في التعليم وتدريس القواعد، وعلى خزانة واسعة، والمتعلمون فيه داخليون منتظمون فيه حسب المستويات، كما أن شيوخ التلقين للقرآن وغيره متعددون. وقد زرته وتعرفت على مرافقه ونظام الدراسة فيه والآليات المستعملة في التحفيظ والتدريس.

وعدد طلاب المعهد ١٦٣ طالبا ، الذين يسكنون منهم في الداخلية ١٠١ ، وعدد طلاب التحفيظ في الكتّاب ٢٨ طالباً ولهم مدرر واحد .

ب - في جنوب المغرب [(١)]:

كما شددت الرّحال إلى جنوب المغرب، واخترت جملة من مدارس تقع في بادية مدينة الصويرة قريبا من ساحل المحيط الأطلسي على الطريق النافذة من مدينة الدار البيضاء إلى الصويرة فزرت:

١- المدرسة القرآنية العتيقة المشهورة في المنطقة بمدرسة (أغِيسِي):

وهي مدرسة تقع في بادية مدينة الصويرة وتبعد عنها بنحو أربعين كيلومتراً، وموقعها بقبيلة (آيت بَاعَزِّي) بالشّياظمة الشمالية وسط غابة كثيفة من شجر (أركان) أو (الهرجان) الذي يستخرج منه الزيت المعروف في المغرب ، وأقيمت المدرسة في موقع مرتفع مشرف على ما حوله من الغابات وأشجار الزيتون ومزارع العنب، وعمر البناية العتيقة للمدرسة -كما أخبرنا شيخها الحاليَ- يزيد على مائتي سنة، وقد أقيمت بجوارها مدرسة جديدة متصلة بها أنشئت فيها أقسام وقاعات للتدريس وتحفيظ القرآن، واحتفظ بالمدرسة العتيقة في موضعها لسكنى التلاميذ، إذ تشتمل على مجموعة من البيوت الصغيرة التي يتسع كل بيت منها لاثنين، وقد

(١) وقد سعدت في هذه الجهة والجهة التي بعدها بمرافقة الدكتور حميتو، وهو الذي تولى مشكوراً التنسيق لزيارة هذه الكتاتيب.

زرنا التلاميذ أثناء وجودهم فيها، وتعرفنا على الهدف من سكناهم الموقتة في هذه البيوت، وعلى الأنشطة الدراسية الموازية التي يمارسونها فيها في ساعات الفراغ أو في أثناء عطل الأسبوع.

ويشتمل كتاّب هذه المدرسة على نحو سبعين تلميذاً من أعمار مختلفة ومستويات متفاوتة. ويتولى القيام بتحفيظ التلاميذ وتصحيح الألواح قيم المدرسة وشيخها المسمى (الذهبي) ويشتهر باسم (ابن المهدي) وقد أخبرنا أن مولده كان سنة ١٩٤٠م – ١٣٦٠هـ وأنه في هذه المدرسة منذ أربعين سنة.

وقد حضرناه يشتغل في فترة الصباح وهو يكتّب طائفة من الأطفال على طريقة الإفتاء، أي: الإملاء، كما رأينا طريقة الشيخ في الكتابة للصغار، وفي تصحيح الألواح. ورأينا بعض المساعدين له من تلاميذه الكبار.

وتشتمل مدرسته أيضاً على أقسام للدراسة تابعة لوزارة الأوقاف تخضع للنظام العصري باستعمال الكراسي والسبورة الخشبية، والعادة أن التلميذ الذي يؤنس منه حفظ القرآن ينتقل إلى الأقسام المذكورة، وربما جمع بين التلقين للقرآن والدراسة في هذه الأقسام في المستويات المتقدمة.

وتلاميذ هذه المدرسة نوعان: صغار من أبناء الجماعة التي تقرب من المدرسة، وهؤلاء يخضعون لنظام خاص يتلاءم مع أعمارهم وحاجتهم إلى الخروج في وسط النهار وآخره إلى المنازل من أجل الغذاء والمبيت.

وكبار داخليون من قبائل وجهات شتى يقيمون في المدرسة من أجل الحفظ والدراسة، ولا ينصرفون عنها إلا في العطل الرسمية المرتبطة بالأعياد الدينية.

٢- المدرسة العتيقة أو (مدرسة سيدي عبد الجليل) بقرب (تالمست) بالشياظمة التابعة لمدينة الصويرة، وهي مدرسة تنتمي إلى أحد رجال (رجراجة) المشهورين في أول الإسلام، وتقع على ضفة وادي تالمست : القرية المجاورة، وتكثر

فيها أشجار الزيتون والكروم والهرجان، وهي في سفح جبل يدعى (جبل الحديد) وفي منطقة شهيرة بوفرة الكتاتيب وكثرة الحفاظ.

كما تمتاز باشتمال مدرستها على ذكور وإناث، ولكل منهما من يحفّظه. ويشرف على الكتّاب المختص بتعليم القرآن الفقيه المدرر السيد عبد الغني اللطيفي من مواليد عام ١٩٥٠م – ١٣٧٠هـ. وله عدة مساعدين، وشهرته في المنطقة كبيرة لحفظه وإتقانه للرسم وتوابعه.

ج – في غرب المغرب على الساحل الأطلسي غرب مراكش :

١– في مدينة آسفي، كتّاب زنقة المؤذن بالجريفات :

وهو كتّاب في حي شعبي بمدينة آسفي الساحلية يعمل فيه مدرِّراً ومحفظا السيد عبد السلام بن ميلود الكادي، وهو أحد الحفاظ المشهورين بإتقان رسم المصحف، والراسخي القدم في مجال القراءات القرآنية وعلوم القرآن ، لاسيما في ضبط رواية ورش وأصول أدائها، كما أنه أحد أعضاء لجنة مراجعة "المصحف المحمدي" الصادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب في شهر رمضان من عام ١٤٣١ هـ كما يشهد بذلك إمضاؤه في ملحقه.

ويمتاز كتاب الجريفات هذا بالاهتمام بقواعد التجويد وتحفيظ متونها كالجزرية وتحفة الأطفال والدرر اللوامع لابن بري، ويستعين إلى جانب استعمال الألواح الخشبية باستعمال السبورة لحفظ القواعد وشرح المتون وتحفيظها.

٢– في مدينة آسفي: المدرسة العتيقة أو (معهد العرفان) بساحة المطار:

وهي مدرسة مزدوجة للذكور والإناث، يبلغ النازلون بها من التلاميذ الداخليين أزيد من المائة، وهم على مستويات تتدرج من المبتدئين، إلى الحفاظ الذين يجمعون بين القرآن والدروس النظامية التابعة لبرنامج وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط. وقد استمعنا إلى قراءة (الأسوار) عندهم عند مجموعة من

الفتيات تبلغ نحو العشرين يراجعن محفوظهن من القرآن مشتركات في أداء واحد بصوت واحد، ومعهن معلمتهن.

كما استمعنا إلى تلميذين يجودان على الطريقتين المغربية والمشرقية بقراءة نافع من رواية ورش وبإتقان كبير وحرص على المخارج والصفات.

واستمعنا من مجموعة تتجاوز العشرين إلى عرض متن (لامية الأفعال) في التصريف لابن مالك وحضرنا بعد صلاة المغرب بها لقراءة الحزب الراتب في جماعة، وكان الحزب من سورة الأنعام من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ إلى آخر الحزب، وكانت قراءة بالقواعد. ويشرف على مدرسة العرفان بفروعها الشيخ الدكتور عبد الرزاق الوزكيتي بمساعدة المدرر السيد عبد العاطي وآخرين، والدكتور الوزكيتي هو رئيس المجلس العلمي المحلي لمدينة آسفي .

٣- في قبيلة عَبْدة: كتاب مدرسة زاوية سيدي الراضي العتيقة:

وهو كتاب يتجاوز عمره الثلاثمائة سنة، ويبعد عن مدينة آسفي بنحو٦٠ كيلومترا ويشرف عليه منذ ثلاثين سنة الشيخ السيد أحمد جميل من حفاظ القراءات السبع المتقنين وأحد المشهورين في ميدان القراءات وعلوم القرآن رسماً وضبطاً وأداء ووقفا وابتداء وعلما بالخطيات من نظائر وأوزان وعدد ورمز وغير ذلك، وقد حضرنا تصحيحه للألواح ورأينا مقدار تضلعه من تلك العلوم وقوة استحضاره لها.

ويبلغ عدد من وجدنا في هذا الكتاب في فترة الصباح أزيد من مائة طفل، وهم على ثلاثة مستويات: مستوى المبتدئين بتعلم الحروف والهجاء وتحناش الكتابة، ومستوى المتوسطين الذين يكتبون ألواحهم بأنفسهم بواسطة الإفتاء والاستملاء من الشيخ، ومستوى المبرّزين وهم أصحاب الروايات غير رواية ورش، وكذلك أصحاب رواية ورش، ممن يدرسون الرسم وتوابعه ويتابعون حفظ المتون والكراريس العلمية.

وقد حضرنا المستويات الثلاثة طوال نصف اليوم إلى صلاة الظهر، ووقفنا على طرق التحفيظ والعرض وتصحيح الألواح، وكيفية التنبيه على الأخطاء في الرسم والضبط، وعلى قراءة الأسوار والحزب الراتب، كما استمعنا إلى قراءة ابن كثير بطريق الجمع والإرداف المغربية، وتعرفنا على مرافق المؤسسة وكيفية تسييرها واستمعنا إلى الحديث عن ماضيها التاريخي المجيد.

حصيلة الزيارات الميدانية:

ويمكن تحديد حصيلة الزيارات الميدانية فيما يلي:

١- التعرف على جملة من الكتاتيب القرآنية في ثلاث جهات من المغرب ومواقعها في شمال المغرب وجنوبه وغربه.

٢- التعرف على جماعة من العلماء والفقهاء والمدررين فيها لا يتسع المجال لذكر أسمائهم ومنهم من كنا في صحبته ليعرفنا على كتاتيب جهته، كالشيخ مصطفى البيحياوي بمدينة طنجة، وخبير عالم الكتاتيب الشيخ الدكتور عبد الهادي حميتو صاحب كتاب (حياة الكتاب وأدبيات المحضرة) المقيم بمدينة آسفي، والذي صاحبنا في زيارة كتاتيب بادية الصويرة والشياظمة في جنوب المغرب، وكتاتيب مدينة آسفي وبلاد عبدة في غرب المغرب، وعرّفنا على الكثير من الثقافة المحضرية والعادات الجارية في التكتيب والتحفيظ والتصحيح في الكتاتيب القرآنية والخصوصيات المتعلقة بأحوالها في الحواضر والبوادي ومختلف جهات المملكة المغربية.

٣- الوقوف على أحوال المؤسسات التعليمية والمدررين بها وأحوال الطلاب في إقامة الداخلية.

٤- الوقوف على أساليب وآليات التلقين والتحفيظ وطرق التعليم على جميع المستويات في جهات المغرب.

٥- الوقوف على خصائص الكتاب القرآني في المغرب، وماله من مزايا في التكوين، وترسيخ علوم الرسم والضبط.

٦- ملاحظة الفروق في طرق التحفيظ والتلقين، واستقراء المحاسن من أجل بناء طرق منهجية حديثة تنطلق من الأصالة إلى المعاصرة دون قطيعة أو تنكر للموروث.

٧- الوقوف على مكامن القوة والضعف بالدراسة المقارنة في المدرستين المشرقية والمغربية، للإفادة من التجارب الناجحة، ولإعادة التأهيل، واستدراك النقص وتقويم الاعوجاج في الأساليب المعتمدة حتى الآن في المشرق.

٨- محاولة نقل النافع من التجارب، والتوسع في القاصر منها لتحقيق الأهداف المرجوة والمنشودة.

٩- محاولة التلاقح بين أساليب وطرق التلقين في المغرب ومثيلاتها في المشرق لبناء نظرية تربوية ممنهجة تساعد على تمتين الأصول والانطلاق منها لتنزيل الفروع على المناسب والمفيد منها، وتحقيق المزيد من التواصل بين الأقطار العربية والإسلامية في هذا المجال والإفادة من التجارب الناجحة.

١٠- تصحيح المسار في اتجاه التطوير لأداء المؤسسة القرآنية، وتحصينها من الذوبان أو الانصهار في المنظومات والنظريات التربوية المعاصرة المدعوة بالإيديولوجيات والمذاهب والفلسفات (الحداثية)، وإعادة الثقة في قدُراتنا الذاتية على المنافسة والمدافعة والبقاء، حفاظا على روح الأمة ومقومات وجودها وعناصر القوة والمناعة في كيانها وأركان بنيانها.

وأحسب أن هذه الزيارات وأمثالها إذا تكاثفت، وتأتّى استثمار نتائجها، من شأنها أن تساعد على اتضاح الرؤية، واتساع الصدر للقبول بتجارب إخواننا من أهل المغرب، كما يلاحظ أنهم أيضا قد استفادوا من حلقات التعليم عندنا كثيراً فيما يرجع إلى الاهتمام بقواعد التجويد، والتدريب على حسن الأداء، ورصد المسابقات والمكافآت لتشجيع المواهب والكفاءات، ولا شك أن التعاون في هذه الشؤون ومد الجسور فيما بين المؤسسات المعنية بها في الأقطار، حَريٌّ أن يساعد على تخطي كل

العقبات، وإتاحة الفرص لبلوغ الأهداف، ورفع الحواجز فيما بين الأقطار ليفيد بعضها من بعض، كما كان ذلك هو الشأن في العهود الأولى والعصور الذهبية من تاريخ البلاد الإسلامية.

الخاتمة

وبعد، فإنه في خاتمة مطافي في هذا البحث الطريف الذي درست فيه منهجية العلمية المغربية المتميزة في تعليم القرآن الكريم وحفظه ،ألخص أبرز النتائج التي توصلت إليها وهي :

١- تعد تجربة تعليم القرآن في الكتاتيب تجربة رائدة بما تحمله من مقومات علمية متينة؛ تتقن الحفظ وتقوّيه عبر برنامج علمي ممنهج ومتدرج؛ يقوم على التلقين والتكتيب والتصحيح.

٢- تؤكد هذه المنهجية سبق المسلمين للنظريات الحديثة في التعليم الممنهج، بقواعد تربوية متينة تنتقل بالطالب من الجزء إلى الكل، ومن السهل إلى الصعب، يتقن الطالب معها حفظ القرآن.

٣- تتفرد المدرسة المغاربية – عموما- عن المدرسة المشرقية في تحفيظ القرآن بميزة لها أثرها، والمتمثلة في الحفظ عبر الكتابة في الألواح التي تجمع فنونا عديدة من علوم القرآن المتعلقة به كعلم الرسم والضبط والوقوف

٤- تتميز طريقة تعليم القرآن في المغرب بقيم تربوية تغذّي الطلاب بالقيم والأخلاق الإسلامية، بصقل شخصياتهم وتحصينها بكتاب الله، وبمنظومة متميزة من الحصانة الروحية والقيم الاجتماعية، وهذه القيم جديرة بالبحث العلمي النظري والميداني للإفادة منها ونقل خبراتها للمشرق، إضافة لتطوير قدراتها التعليمية والتربوية والاستفادة من مستجدات العصر والوسائل المعاصرة من التقنيات مع المحافظة على أصالة هذه الكتاتيب وهويتها، لما لها من قيمة تاريخية وتربوية وحضارية في تكوين الناشئة وتثبيت القيم الإسلامية.

ولعل من المناسب أن أختم بحثي هذا بمجموعة من التوصيات وهي الدعوة إلى ما يلي:

١- تشكيل فريق علمي وإداري من المؤسسات المعنية بتعليم القرآن في المملكة العربية السعودية للوقوف على تجربة تعليم القرآن في الكتاتيب المغربية للإفادة منها ووصفها ودراستها وبيان إيجابياتها.

٢- العناية بهذه المنهجية العلمية في تعليم القرآن في المؤسسات القرآنية العالمية لرصدها ونقل خبراتها

٣- تأهيل الكتاتيب القرآنية في المغرب وإمدادها بالوسائل التعليمية الحديثة للكتابة وتعلم الرسم والوقف. وتوظيف وسائل التكنولوجيا السمعية والبصرية من أجل ذلك .

٤- تأهيل المدررين والفقهاء في الكتاتيب علمياً ومهنياً وتربوياً. وابتعاثهم بقصد التدريب وإعادة التكوين وتبادل الخبرات والتجارب عبر شراكات واتفاقيات تعاون علمي وتربوي.

٥- دراسة الجوانب التربوية في التعليم بالكتاتيب لكشف سبق النظرية الإسلامية التربوية للمناهج التربوية الحديثة.

٦- عمل دراسات ميدانية مسحية لأثر التعليم في الكتاتيب على الجوانب العلمية والفكرية والإيمانية.

٧- عمل دراسات وبحوث علمية معمقة عن الكتاتيب، وتوجيه طلاب مرحلتي الماجستير والدكتوراة للبحث عنها، وللكشف عن دورها في مواجهة المد التغريبي والانحلالي والعلماني في بلاد المغرب العربي عموما.

يشكر الباحث

مركز بحوث كلية المعلمين بجامعة الملك سعود

على دعم هذا البحث

فهرس المراجع

المرجع الأول : الزيارات الميدانية للكتاتيب والعلماء المعتنين بها.

١- الأحكام في الفقه المالكي لأبي عمران الفاسي مخطوط بخزانة ابن يوسف بمراكش برقم ٥٤٧. نقلا عن كتاب أبو عمران الفاسي حافظ المذهب المالكي نشر الرابطة المحمدية للعلماء (مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث): ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م - الرباط

٢- أليس الصبح بقريب - التعليم العربي الإسلامي - دراسة تاريخية وآراء إصلاحية تأليف فضيلة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور التونسي -الطبعة الثانية نشر دار سحنون للنشر والتوزيع - دار السلام للطباعة والنشر: القاهرة: ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣- الأنصاص القرآنية، رواية ورش، د. عبدالعزيز العيادي العروسي، ط. الثالثة، ٢٠٠٠م، مطبعة سبارطيل - طنجة.

٤- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي تحقيق ليفي بروفنصال نشر دار الثقافة ببيروت - لبنان.

٥- تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٦- تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط تأليف الأستاذ الحسين أسكان - الرباط: ٢٠٠٤م مطبعة المعارف الجديدة.

٧- الحركة العلمية في الجامع الكبير بمدينة تارودانت للأستاذ مصطفى المصلوتي نشر مجلة كلية الشريعة بمدينة أكادير العدد الأول: ماي: ٢٠٠٠م.

٨- الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري، إبراهيم الوافي، مطبعة النجاح الجديدة، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - الدار البيضاء.

٩- الرسالة المفصلة لأحوال التعليم والمعلمين، لأبي الحسن علي بن خلف القابسي، نشر د. محمد أحمد ضمن كتاب (الفكر التربوي الإسلامي) ، ط١، ١٩٧٧م، وكالة المطبوعات-الكويت.

١٠- الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة لأبي علي حسين بن علي بن طلحة الرجراجي الشوساوي دراسة وتحقيق إدريس عزوزي نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية: ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

١١- رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط. الأولى،

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م – الأردن.

١٢- **سوس العاملة**، محمد المختار السوسي، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، ط. ٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م الدار البيضاء.

١٣- **شرح المقدمة الجزرية**، د. غانم قدوري الحمد، مركز الدراسات القرآنية بمعهد الشاطبي، ط. ١، ١٤٢٩هـ - جدة.

١٤- **على رأس الأربعين**، محمد داود، تقديم وتعليق: حسناء داود، منشورات جمعية تطاون أسمير، مطابع الشويخ، تطوان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٥- **القراء والقراءات بالمغرب**، سعيد اعراب، دار الغرب الإسلامي، ط. الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٦- **الكتاب القرآني بالمغرب والرواية المتواترة فيه** للدكتور عبد الهادي حميتو ضمن كتاب الكتاتيب القرآنية: الآليات – الأهداف – الآفاق (الجزء الثاني) منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. المملكة المغربية الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٧- **الكتاتيب القرآنية (الآليات – الأهداف – الآفاق)**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية.

١٨- **الكتاتيب القرآنية: الآليات – الأهداف – الآفاق**. الجزء الأول: الواقع والآفاق.

١٩- **الكتاتيب القرآنية: الآليات – الأهداف – الآفاق**. الجزء الثاني: الرواية المتواترة وآليات الرسم والضبط والقراءة منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. المملكة المغربية الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٢٠- **مدارس سوس العتيقة**، محمد المختار السوسي، منشورات كلية الشريعة، أغادير، ١٩٩٥م.

٢١- **المعيار المعرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسبي، نشر وزارة والأوقاف والشؤون الإسلامية- الرباط.

٢٢- **المدرسة الأولى**: وصف شامل للتعليم الأولي بالمدرسة القرآنية في سوس نموذج مدرسة إلغ تأليف الفقيه صالح بن عبد الله الإلغي الطبعة الأولى: ١٤١٨ هـ-١٩٩٨م مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء.

٢٣- **كتاب المفرد العلم في الإملاء الحديث** للأستاذ أحمد الهاشمي – القاهرة.

٢٤- **مقدمة ابن خلدون**، ط الرابعة دار الفكر – بيروت – لبنان.

٢٥- **النشر في القراءات العشر**، لابن الجزري ، تحقيق : علي الضباع ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٢٦- **مجلة دعوة الحق**، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

٢٧- **وصف إفريقيا** للحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي ترجمة عن الفرنسية محمد حجي – محمد الأخضر. نشر دار الغرب الإسلامي الطبعة الثانية: ١٩٨٣م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	٢٧٣
مقدمة	٢٧٤
تمهيد	٢٧٩
الفصل الأول: مراحل وآليات التعلّم في الكتّاب	٢٨٣
المبحث الأول: مراحل التعلّم وبرنامجه	٢٨٣
المبحث الثاني: الوسائل التعليمية ، وآليات المراجعة	٢٩١
المطلب الأول: الوسائل التعليمية المعتمدة في الكتاتيب	٢٩١
المطلب الثاني: طرق المراجعة	٢٩٢
الفصل الثاني: المعالم المنهجية في التحفيظ	٢٩٥
المبحث الأول: الأسس العلمية التي يقوم عليها تعليم القرآن لدى المغاربة	٢٩٥
المبحث الثاني: ميزات المنهاج المغربي في التحفيظ ،يتمثل في الميزات التالية	٣٠٠
الفصل الثالث: المعالم التربوية في تحفيظ القرآن في الكتاتيب	٣٢١
المبحث الأول : النظرية الاسلامية في التعليم الممنهج	٣٢١
المبحث الثاني: الأثر التربوي	٣٢٧
المبحث الثالث: التربية الإيمانية والأبعاد الاجتماعية والنفسية في الإقامة الدراسية، من خلال وظيفة الكتاب القرآني وآفاقه الربانية	٣٢٩
الفصل الرابع: الزيارات الميدانية للوقوف على التجارب العلمية وتقويمها	٣٣٨
الخاتمة	٣٤٧
التوصيات	٣٤٨
فهرس المراجع	٣٤٩
فهرس الموضوعات	٣٥٢